MOHAMED OULD MOHAMED SALEM

رواية NOVEL

محمد ولد محمد سالم

ألاعيبُ خالدٍ مع كورونا

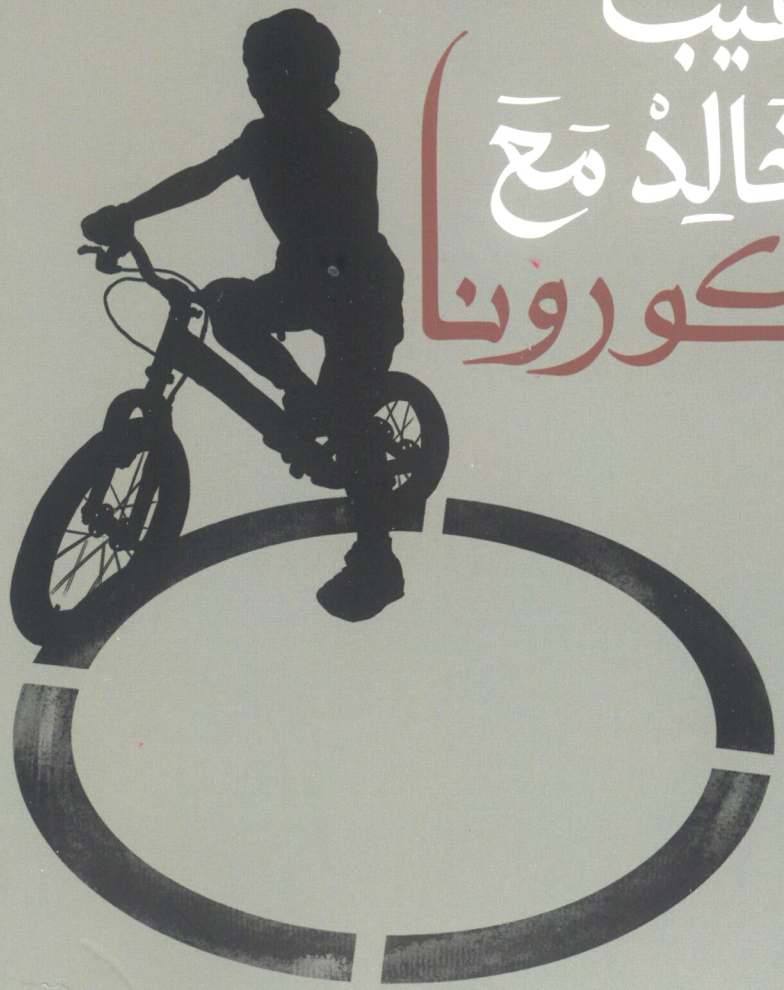

رواية NOVEL

محمد ولد محمد سالم

ألاعيب خالد مع كورونا

KHALID OUTWITS CORONA

رواية NOVEL

عند ذلك الحدّ توقف خالد عن الحوار معهم.. لم يستطع أن ينبس بكلمة، ودفع التلفون إلى أمه من غير أن يودعهم أو يقطع الاتصال.. دخل إلى غرفته وأغلق الباب.. تداعت الصور إلى ذهنه.. مغامرات السباق الشيقة على الدراجات، وسط ذلك الشارع الضيق الذي لا تنقطع حركة السيارات عليه في الاتجاهين.. الالتفاف والخروج من بين سيارتين، وصيحات السائقين وتوعدهم، والوصول قبل المنافسين من الأطفال.. الهروب من أمام سائق غاضب أو من أمام سيارة الشرطة، والدخول في أزقة الحي، ومنافسات الكرة مع الفرق الأخرى.. الغزوات التي يقومون بها إلى الأحياء الأخرى، عندما يعتدي أحد أبناء تلك الأحياء على أحدهم، فيكمنون له في الطرقات حتى يتمكنوا منه، فيوسعوه ضربا، هو ومن معه..

أين هو الآن من كل ذلك؟!! تكاد كبده تتقطع من الألم.. تأمل الكون الساكن أمام عينه.. القصباء راكدة.. كل شيء فيها متوقف، أنوارها التي تنار عادة في مثل ذلك الوقت لم تعد تنار، ومنطقة الألعاب باهتة ميتة.. كانت نافذة الغرفة مفتوحة، وخيل إليه أنه يسمع صوت أنين تلك الألعاب وهي تبكي..

محمد ولد محمد سالم

روائي وصحفي موريتاني

1969 – واد الناقة – موريتانيا

صدرت له أربع روايات هي:

❋ أشياء من عالم قديم 2007 دار الحكمة – نواكشوط.

❋ ذاكرة الرمل 2008 دار الأمان – الرباط.

❋ دروب عبد البركة 2010 عن دائرة الثقافة والإعلام في الشارقة.

❋ دحّان 2016عن دار روايات التابعة لمجموعة كلمات الإماراتية.

❋ له كتاب "قراءة عابرة في روايات عربية معاصرة" 2015 عن دار الصدى للطباعة والنشر في دبي.

9 786144 861516

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

http://www.airpbooks.com

ألاعيب خالد مع كورونا

أَلاعيبُ خَالِدْ مَعَ كورونا/ رواية
محمد ولد محمد سالم / مؤلّف من موريتانيا
الطبعة الأولى، 2020

حقوق الطبع محفوظة ©

المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي:
المصيطبة – شارع ميشال أبي شهلا – متفرع من جسر سليم سلام
مفرق الجامعة اللبنانية الدولية LIU – بناية النجوم – مقابل أبراج بيروت
ص.ب.: 11/5460 الرمز البريدي 1107-2190
تلفاكس: 707892 1 00961 – 707891 1 00961
بيروت – لبنان
E-mail: mkpublishing@terra.net.lb
موقع الدار الألكترونيّ: www.airpbooks.com

التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
ص. ب.9157، عمّان، 11191 الأردنّ،
هاتف: 5605432 6 00962، هاتفاكس: 4631229 6 00962
E-mail : info@airpbooks.com

رسمة الغلاف: الرسام فواز سلامة / سوريا
خطوط الغلاف: تاج السر حسن / السودان
الصفّ الضوئيّ: المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر/ بيروت، لبنان
التنفيذ الطباعيّ : ديمو برس / بيروت، لبنان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

رقم الناشر الدولي: ISBN: 978-614-486-151-6

رواية
NOVEL

محمد ولد محمد سالم

ألاعيب خالد مع كورونا

إهداء

أهدي هذا العمل إلى كل من :

الدكتور عمر عبدالعزيز

الدكتور محمد الأمين السملالي

مع خالص الود

اليوم الأول:

نحن في منتصف مارس ، وقد مضى أسبوع على بدء إجازة الربيع المدرسية في الإمارات ، التي قُدّمت هذا العام عن ما كان مبرمجاً لها ، بسبب جائحة (كورونا- كوفيد ١٩) ، التي بدأت تجتاح العالم ، وظهرت منها حالات في دولة الإمارات ، فاتخذت وزارة التربية إجراءً احترازيّاً لكي لا ينتشر الوباء في صفوف طلاب المدارس ، وكان خالد الطفل ذو العشرة أعوام ، مثل جميع طلاب المدرسة ، مزهوّاً بتلك الإجازة التي سمحت له أخيراً بأوقات طويلة من اللعب كانت أيام الدراسة تحرمه منها .

مرت الأيام الأولى جميلة . . كان ينزل كل صباح من شقتهم في «برج الروز ١» المطل على قناة القصباء بالشارقة ، فيلعب هو وأصدقاؤه الكرة ، أو يتسابقون على دراجاتهم ، وفي بعض الأحيان يقومون بجولات استطلاعية في المكان من حولهم ، وفي المساء يدخلون منطقة القصباء ليتسابقوا على ممشى القناة ، ويؤدوا حركات احترافية على دراجاتهم ، أو يشتروا تذاكر لدخول جناح

الألعاب هناك ، وأثناء ذلك كانت لديهم أوقات يلعبون فيها الغميضة بين السيارات المركونة حول العمارة ، أو يتقافزون على سلالم العمارة ، ولا يفوّتون أوقاتاً أخرى ينزلون فيها إلى الطابق «H» ، حيث قاعة التدريب الرياضي ، فيتسللون إليها ، لكي يمارسوا شغفهم باللعب والعبث بالآلات والأدوات الرياضية المختلفة ، وذلك حين لا يكون هناك من يردعهم ، وغالباً ما يتسنى لهم ذلك في الأيام المخصصة للنساء ، حيث تتساهل النساء مع الأطفال ، ويتحملن لغطهم وجنونهم أكثر من الرجال .

بدأ خالد يوم الأحد في الأسبوع الثاني من إجازة الربيع ، بحبور وسعادة ، ورغم أن أمه أصبحت في الأيام الأخيرة تحذره من كثرة الخروج ، وتُحرّج عليه في ذلك في بعض الأحيان ، إلا أنه لا يزال لا يكترث كثيراً بنصائحها ، وفي ذلك اليوم كان يفكر في يوم عريض من اللعب ، سيبدأه في الصباح بكرة القدم مع أصدقائه ، وفي المساء سوف يدخل منطقة الألعاب في القصباء ليتمتع بذلك الكم المتنوع من الألعاب . . استيقظ في التاسعة تقريباً . . أطل من نافذة الغرفة . . لا تزال الساحة خالية والحركة ضئيلة .

خرج من غرفته ، ووجد باب غرفة أبويه مواراباً ، فتسلل إلى داخلها بهدوء كي لا يوقظ أمه ، التقط جهازه اللوحي من فوق الطاولة ، وكان أبوه ينتزع منه هو وأخته بشرى جهازيهما عند

التاسعة من كل مساء ، حتى لا يسهرا عليهما .

عاد إلى سريره ، وبدأ يلعب بجهازه ، انهمك ساعة ثم قام ونظر من النافذة ، لم ير أحداً من زملائه قد نزل ، فاستغرب!! الساعة تقترب من العاشرة ولا أحد من الأطفال في الساحة . . قرر أن ينزل ليستطلع المكان تحت العمارة ، وعاد إلى غرفة أبويه ليلتقط مفتاح الشقة . . استيقظت أمه على حركته ، ورفعت رأسها ، فرأته يلتقط المفتاح ، فقالت له :

- إلى أين تذهب؟

- سأخرج قليلاً لألتقي بصديقي عمور .

- أما قلت لك إن الخروج أصبح خطيراً في هذه الظروف؟!

- لن أختلط بأحد ، سوف ننزل للساحة ونلعب وحدنا لوقت قصير ثم نعود

- انتظر حتى تفطر .

- سوف أشرب كأساً من الحليب

- ألا تريد أن تأكل «الأومليت»؟

- بلى أريدها . . لكن حين أعود .

- إذا تأخرت في الإفطار فسوف يدخل وقت الغداء وأنت شبعان ، ولن تستطيع أن تتغدى .

- لن أتأخر ، سوف ألعب قليلاً ريثما تُعدِّينها .

صب نصف كأس من الحليب ، وشربه ، وخرج ، سمعت أمه صوت الباب يفتح ويغلق ، فتمتمت :

- بسم الله الرحمن الرحيم . . اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله . . لا حول ولا قوة إلا بالله!

ونفثت إلى الجهة التي فيها الباب ، كأنما تلحق به ذلك الدعاء . . يقلقها أن ينزل إلى الشارع في هذه الظروف ، لكنها لا تملك شيئاً أمام إصراره ، ولا تريد أن تكسر خاطره ، وهو يرى أصدقاءه يلعبون في الساحة . . طمأنت نفسها بأن الساحة فارغة ، ولن يختلطوا بأحد من الكبار والعمال الذين هم في الغالب وسيلة نقل العدوى .

خرجت من غرفتها ، ومرت على بشرى فأيقظتها ، ثم انهمكت في تنظيف المنزل وترتيبه ، وأعدت الإفطار ، ووضعته على الخوان في الصالة ، ثم جلبت المواعين وتربعت أمامها لتعد لنفسها الشاي ، ثم تذكرت خالداً ، فقامت وأطلت من نافذة الصالة ، رأت هناك أربعة أطفال يلعبون ، وميزته من بينهم بقميصه الأصفر . . اطمأنت بعض الشيء ، وعادت إلى جلستها ، ونادت بشرى لتفطر معها ، ولما فرغت من الإفطار قالت لها :

- انظري ، هل أخوك لا يزال يلعب هو وأصدقاؤه في الساحة أم لا .

أطلت بشرى من النافذة ، فرأتهم ، وقالت لأمها :

- نعم . . لا يزالون هناك ، إني أراه يصـــول في الشـــمس بقميصه الأصفر . . كم هم أشقياء هؤلاء الأولاد . . لا يردهم حر الشمس عن اللعب!

عادت بشرى إلى جهازها اللوحي الذي أصبح لا يفارقها في تلك الظروف ، فنهرتها أمها ، وأمرتها أن تأخذ المصحف ، لتقرأ درسها اليومي من القرآن . . تلكأت في الاستجابة لها ، بينما ، انهمكت الأم في إعداد الشاي ، وبعد أن تناولت كأسها الأولى ، قامت ، وتهيأت للخروج ، فسألتها بشرى :

- إلى أين؟

- سوف أذهب إليه . . لن يعود إلا إذا ذهبت إليه بنفسي .

- دعيني أنا أذهب إليه .

- لن يأتي معك ، وسوف تتشاجران في الشارع .

- أريد أن أتعرض لأشعة الشمس . . ألم تكوني تأمريني بأن أنزل لأتعرض لها؟!

- بعد العصر عندما تخف حرارة الشمس سوف أنزل بك لتتعرضي للشمس .

تركتها وخرجت .

في الأسفل ، لقيت واحداً من رفاقه الذين كانوا يلعبون معه ،

مع أمه ، وهي تمسك بيده ، وهو يشدها يريد أن يخلص نفسه منها ، فعرفها الولد وأخبرها أن خالداً يلعب الغميضة بين السيارات هو واثنان من أصدقائه ، وقالت لها المرأة :

- هؤلاء الأطفال أشقياء ، لا يريدون أن يفهموا خطورة الواقع . . ابني يغافلني في كل مرة ، وينزل غير مكترث بالوباء ، وما يمكن أن يسببه له!

- معك حق والله ، أنا أيضا أعاني من عناد ابني ، الذي لا يريد أن يجلس في البيت ، ويغتنم كل فرصة للخروج . . كما ترين ، أظل طول النهار أنزل وأعيده للبيت ، ثم يخرج ثم أعيده ، هكذا . . نسأل الله الفرج!

- آمين . . الله يفرج عن الناس جميعاً .

وجدته مع صديقيه خلف العمارة ، فأمسكت بيده وذهبت به ، قال لها أحد الصبيين :

- خالتي . . دعي خالداً يلعب معنا الغميضة .

- حبيبي . . يكفيكم هذا القدر من اللعب اليوم . . في هذه الظروف لا ينبغي للأطفال أن يطيلوا البقاء خارج المنزل ، لأن الوباء خطير ، ينتقل مع الهواء ، وأنتم الأطفال ضعفاء ، لا تتحملون الأمراض .

- لكننا لن نختلط بأي أحد .

- الأفضل أن تذهبا إلى أهلكما الآن .

- إن شاء الله ، سوف نذهب .

تناول خالد إفطاره ، وبعد انتهائه قالت لهما أمهما :

- بسم الله على درسيكما من القرآن ، ليأخذ كل منكما مصحفه .

تململا ، لكنها ألحت عليهما ، فأخذ كل منهما مصحفه ، وبدآ في القراءة ، ودخلت الأم المطبخ .

بعد أن فرغا من درسهما ، ذهبت بشرى إلى غرفتها ، وانهمكت في جهازها ، ودخل خالد ليستحم ، وحين خرج كان أذان الظهر ينطلق من مسجد القصباء ، وكانت أمه في غرفتها ، فدخل على بشرى متوددآ ، وقال لها :

- بشرى ، أخوك سيذهب إلى المسجد ليصلي لربه ، فلا تخبري أمه أنه سوف يخرج ، أنت أختي الطيبة الجميلة . . هل تسمعين؟

ابتسمت من مكره ، وقالت له :

- يا منافق . . الآن أصبحتُ أختَك لأنك تريد الخروج ، ألم تكن تشتمني منذ دقائق؟!

قبَّلها على رأسها ، وقال :

- أنا آسف لن أعود إلى ذلك مرة أخرى .

قالت له بلهجة الآمر :

- إذن لا تتأخر . . تعال فوراً عندما تنتهي الصلاة .

- أمرُكِ أختي .

تسلل إلى الباب ، وخرج . .

في المسجد لقي بعض الأطفال من سكان عمارة «الريبوت» التي يوجد فيها المسجد ، وكان قد تعرف إليهم حديثاً ، فسألهم عما إذا كانوا ينوون اللعب ، فاعتذروا له ، وأبدوا تخوفاً من النزول إلى الشارع . عندما خرج من المسجد ، رأى جماعة من المصلين ينتظرون المصعد ، فقرر أن يجرب ما إذا كان يستطيع أن يسبقهم إذا ما نزل مع السلالم ، وكان المسجد في الدور الخامس ، ويصعد إليه عن طريق مصعد خاص بالمكاتب ، وعندما وصل إلى الأسفل رآه ينغلق ويغادر صاعداً ، وتلفت فرأى أحد المصلين الذين تركهم في الأعلى يخرج من باب العمارة ، فعرف أن المصعد قد سبقه ، فتحسر على ذلك ، وخرج متثاقلاً عائداً إلى البيت .

لم يحاول أن يخرج بعد ذلك ، حتى لا يفسد على نفسه الأمسية التي كان ينتظرها بتلهف ، فقد كانت لديه ثلاثون درهماً ، يدّخرها كي يذهب في ذلك المساء إلى منطقة الألعاب في القصباء . . هناك سوف يشتري تذكرة لجناح القفز والمراجيح ، ويلعب حتى يتعب ، ثم يخرج فيشتري الآيس كريم . . ستكون

تلك الليلة تعويضاً عن ليلة الجمعة التي لم يذهب فيها إلى القصباء ، بسبب غياب أبويه اللذين ذهبا عصراً إلى السوق ، وتركاه مع أخته ، وكان يفترض أن يرجعا عند المغرب ، لكنهما تأخرا ، وأثناء انتظاره لهما نام ، ولم يستيقظ إلا عند الساعة التاسعة والنصف . . أراد أن يذهب حينها لكن الوقت كان متأخراً ، واليوم فقط وبعد إلحاح منه أعطته أمه النقود . . سوف يذهب قبل المغرب لكي يقضي وقتاً أطول في اللعب .

عندما مالت الشمس للغروب أخبر أبويه أنه ذاهب للّعب في القصباء ، فقال له أبوه :

– القصباء مغلقة ابتداء من هذا اليوم . . لقد أعلنوا عن إغلاق منطقة الألعاب ، خوفاً على الأطفال من العدوى .

– لا ، ليست مغلقة . . الأطفال كلهم يلعبون هناك ، لقد تواعدتُ مع أصدقائي هناك . . أمي لا تقلقي ، سوف أصلي المغرب في مسجد القصباء .

قالت له مبتسمةً :

– لن أقلق . . أعرف أنك سوف تفعلها ، فأنت ابني ، لا تكذبُ .

قال له أبوه :

– لا تُتعب نفسك ، منطقة الألعاب مغلقة ، تعال وانظرْ . .

وقف الأب أمام النافذة ، وجاء خالد فتسلق عتبة النافذة ، حتى رأى منطقة الألعاب واضحة ، ثم قال لأبيه :

- انظر جيداً إلى الأضواء ، إنها مفتوحة .

- انظر أنت جهة الألعاب . . هل ترى أطفالاً يلعبون؟ . . كل أبواب المنطقة مغلقة ، وأضواءها اللّمّاعة مطفأة . . انظر هناك حيث الملاعب المطاطية مطوية ، ومغطاة بواقيات شمسية .

تأمل خالد حتى تأكد من أنها مغلقة ، ثم انسحب إلى الخلف مطأطِئاً رأسه ، وذهب إلى غرفته ، فجلس كئيباً محبَطاً . . ضاع أمله في ليلة لعب بهيجة ، وما حز في نفسه أكثر أنه كان يمكن أن يلعب ليلة الجمعة أو البارحة ليلة السبت ، لكنّ تأخُّر أبويه خارج المنزل فوت عليه ليلة الجمعة التي كانت مخصصة للّعب في منطقة الألعاب ، وليلة البارحة أصابه صداع شديد لم يستطع معه أن يذهب ، ففوت عليه الفرصة ، وها هو اليوم يوَاجَه بإغلاق منطقة الألعاب . . يا لحظه التعيس!!

استلقى وغطى عينيه باللحاف . . تنهد وسالت دموعه ، وظل يتقلب في اللحاف ، حتى أُذّن لصلاة المغرب . . دخلت بشرى ، فرأته مغطى الوجه ، فصاحت به :

- خالد ، قم صلِّ . . ألم تسمع الأذان ، يا كسول . . أعرف أنك تتناوم عن الصلاة . . قم!!

ضربته بيدها على فخذه ، فانتفض غضبان ، وضربها بقوة على ظهرها فصاحت وتأوهت ، وخرجت باكية ، وعاد هو إلى حالته الأولى .

كانت أمه تعرف أنه منفعل بسبب حرمانه ذلك المساء من اللعب في القصباء ، فلم ترد أن تزيد انفعاله ، لذلك حين جاءتها بشرى شاكية أجلستها بجانبها ، وأمرتها أن لا تعود إلى الغرفة ، وأن تتركه لحاله . . بقي خالد هناك ساعة يتقلب متحسراً ، ولم يلبث أن داهمه النوم فنام ، وعندما أيقظته أمه للعشاء أكل نائماً ، وكان على ما يبدو في حلم جميل ، فكان تارة يخاطب أحد أصدقائه :

- هاهاها . . يوسف ، لقد سبقتك .

وتارة يقول له :

- كذبت أنا الأول . .

ومرة كور قبضته ، وضرب بها ، في الهواء كأنما يضرب أحد أصدقائه ، وعندها أمسكت أمه بيده ، ففتح عينيه على آخرهما ، ليدرك أنه ليس في ميدان الألعاب ، بل في البيت يتناول العشاء ، فأكمل عشاءه واستأنف نومه .

اليوم الثاني

إنها التاسعةُ صباحاً . . أمه لا تزال نائمة ، وبشرى كذلك ، التقط المفتاح من فوق طاولة في غرفة نوم أبويه ، وفتح باب الشقة ، وتسلل خارجاً بدراجته ، وتجول بها تحت العمارة ، ثم التحق به صديقه عمور ، وجلب هو أيضاً دراجته ، فذهبا يتسابقان في الساحة التي خلف العمارة ، ولم يلبثا أن جاءهما آخرون ، فازدادت الحماسة وأصبح السباق شيقاً ، وكان الذين عندهم درّاجات يستريحون ويعطون دراجاتهم للذين ليست لديهم درّاجات لكي يشاركوا أيضاً في السباق . . نزل أحد الصبيان بدراجته إلى شارع الخدمة المحاذي لشارع الخان عند جسر القصباء ، فتبعه الآخرون ، والتفُّوا مع الطريق المارّ أمام بوابة القصباء الشمالية ، حتى وصلوا إلى الجسر الآخر ، وقفلوا راجعين ، وأخذت الحماسة أحد الصبيان فأسرع ليتعدى الآخرين ، وخرج عن المسار الأيمن إلى المسار الأيسر المعاكس لاتجاهه ، ولم ينتبه إلى السيارة القادمة إليه وقد اقتربت منه جدّاً ، لكنّ صاحبها استطاع أن يكبحها بقوة على بعد نصف

متر منه فقط ، مما سمح للصبي بفرصة للانحراف قليلاً ، لينجو من صدمة محققة ، لكنه في الوقت ذاته ارتطم بخالد الذي كان يسير محاذياً له على الخط الأيمن ، وسقطا على الرصيف الآخر ، بعيداً عن السيارة ، ولم يجدا فرصة لتأمل آثار اصطدامهما ، فقد نزل صاحب السيارة ، وهو يصيح ويسب ويتوعد ، فتركا دراجتيهما هاربين ، وهرب معهما الآخرون على دراجاتهم . . اختفوا في المواقف تحت أقرب عمارة ، وظلوا يرقبون الرجل الذي كان قد التفَّ عليه بعض المارة ، وأيدوه بأن الأطفال مجرمون ، ولا يراعون أي معيار للسلامة ، وحرضه بعضهم على أخذ الدراجات إلى الشرطة ، نكاية بالأطفال ، لكنه اكتفى بالوعيد وذهب ، بقي خالد وصديقه بعيداً يرتجفان ، ولم يستطيعا أن يقتربا من مكان دراجتيهما ، وتوسلا إلى اثنين من أصدقائهما أن يجلبا لهما درّاجتيهما .

بعد أن انكشفت الغمة وعاد خالد إلى رشده أحسَّ بألم في ركبته اليسرى ، بينما كان صديقه قد جرح في فخذه اليمنى وسال منه الدم .

عندما تسلل إلى داخل الشقة ، انتبهت أمه إلى صوت الباب ، وكانت في المطبخ تعد الإفطار ، فالتفتت نحوه ، وقبل أن تسأله أين كان ، لاحظت أنه يعرج ، فسألته عن سبب عرجه . .

ادعى لها أنه كان يقود دراجته في الساحة الخلفية ، فتعثرت عجلتها بحجر فسقطت به ، لكن الأم لاحظت اضطرابه ، فسألته مرة أخرى قائلة :

- أنت تكذب علي! قل لي الحقيقة . . هل كنت تتشاجر مع أحد الأطفال ، فضربك على ركبتك؟

- لا . . لا ، لم أتشاجر مع أحد .

- إذن ما الذي حدث؟

تردد قليلاً ، ثم عرف أنه لا بد أن يعطيها جواباً مقنعاً ، فقال لها :

- لقد كادت سيارة تصدم صديقنا . .

قالت له بهلع :

- كادت تصدم صديقك أو أنها صدمتك أنت فعلا؟ . . لا تكذب ، أنت تعرج من ركبتك ، سوف أتصل بأبيك ليأخذك إلى المستشفى . . صدمة السيارة خطيرة جدّاً!!

توسل إليها قائلا :

- أمي أرجوك ، لا تتصلي به . . لم تصدمني أية سيارة ، وما قلته لك هو الحقيقة ، لقد نزلنا الشارع المقابل للقصباء ، وكان صديقي مسرعاً بدراجته في الاتجاه المعاكس لسير السيارات فباغتته سيارة ، وكنت أنا في الجانب الأيمن ، وعندما هرب من

أمام السيارة اصطدمت دراجته بدراجتي ، فسقطنا نحن الاثنين ، وهذا ما سبب لي الألم في ركبتي .

كانت بشرى تسمع حديثهما من غرفتها ، فأسرعت إليهما ، وعندما رأته بادرته قائلة :

– ما الذي حدث . . هل صدمتك سيارة .

قال لها :

– تعالي أنت أيضا بفمك المفتوح . . قلت لكما لم تصدمني سيارة . . لا تكبِّرا الأمور عن قدرها .

قالت أمه :

– أرأيت يا مجنون! . . كم مرة حذرتك الشارع بدراجتك؟!

أخذته إلى الصالة ، وفحصت ركبته . . لم تبدُ الصدمة قوية ، فجاءت بمرهم ودهنتها ، ثم شدتها بضِمَاد .

طلب من أمه وأخته أن لا تخبرا أباه بما حدث ، وسوف يدَّعي له هو أنه سقط من الدراجة في الساحة ، وتألم من ركبته ، وتوسل إلى بشرى بشكل خاص :

– بشرى يا أختي . . أرجوك ، لن تستفيدي شيئا من عقاب أخيك الصغير ، كي يزيد ألماً على ألم .

وعدته أنها لن تخبره . . أحضرت أمه الإفطار ، فأفطر ، وأمرته هو وبشرى أن يحفظا درسهما من القرآن .

عندما اقتربت عودة أبيه من الدوام نزع الضِّماد عن ركبته ، حتى يخفي عنه أنها مصابة ، لكن لسوء حظه أنه لحظة دخول أبيه المنزل ، كان هو وبشرى منخرطين في شجار ، يتضاربان ، وقد عضها في يدها فضربت برجلها ضربة قوية على ركبته المصابة فأوجعته حتى أبكته ، وتدخل أبوه ففرقهما ، ولاحظ أنه يعرج ، فتفحص ركبته ، ووجدها تؤلمه ، فنادى بشرى ليعاقبها ، وهو يظن أن ما حل بركبة خالد بسبب الضربة التي وجهتها له ، لكن بشرى دافعت عن نفسها بأن أفشت سره الذي لم يكن يريد أن يطّلع عليه أبوه . . فأخبرت أباه أنه هو وأصدقاءه لعبوا بدراجاتهم وسط الشارع ، وأن سيارة كادت تصدمهم .

سأل الأب الأم عن الحادثة ، فأكدتها له ، لكنها قللت من شأن الإصابة ، وأنها لا تحتاج إلى مراجعة المستشفى . . دخل الأب ليغير ملابسه ، ثم استدعى خالداً وأجلسه قبالته ، تفحص ركبته ليعرف مدى الإصابة ، ثم وضع عليه المرهم والضماد من جديد . . وعنَّفه على دخوله الشارع بدراجته ، ثم أعلن له أنه لن يخرج بالدراجة بعدها ، وفعلاً في المساء جلب من الدكان سلسلة حديدية فيها قفل ، وربط بها عجلة الدراجة إلى هيكلها الحديدي ، حتى لا تدور ، وأخذ المفاتيح معه . . كان ذلك عقاباً مؤلما لخالد الذي أصبحت الدراجة ذات أهمية كبرى له بعد أن

أغلقت منطقة اللعب في القصباء .

حذره أبوه من النزول ذلك المساء ، مخافة أن يزداد وجع ركبته ، فلزم غرفته ، وكان يطل النافذة بين الحين والآخر ليعرف ما إذا كان أصدقاؤه سينزلون إلى الساحة ، لكنه لم يرَ أيّاً منهم ، وقد حاول أن يتسلل ، لكنّ أباه أحس بحركته ، فأرجعه إلى غرفته كئيباً حسيراً .

كان مما حز في نفسه أكثرَ أنه كان قد تواعد مع بعض أصدقائه في الصباح قبل الحادثة ، أن يلتقوا قبيل المغرب عند الجهة الغربية من القصباء في الساحة الفارغة خلف الجسر ، ليتباروا هنالك ، وعندما مالت الشمس للغروب ، راقب مدخل القصباء ، وقد رأى مرات عديدة أطفالاً يدخلون منه ، فقدَّر أنه لا بد أن يكون من بينهم بعض أصدقائه ، لقد ضاعت منه تلك الفرصة الثمينة . . ها هو جالس في البيت حسيراً .

اليوم الثالث

استيقظ خالد في حدود الساعة التاسعة صباحاً ، وبحث عن مفتاح الشقة ، وكانت أمه قد دسَّته تحت وسادتها مخافة أن يلتقطه وهي نائمة ، لأنها لم تعد تريده أن يخرج من غير علمها ، ومن دون رقابتها ، ليتسكع في الشارع ويختلط بالناس ، فقد أصبح الوضع خطيراً جدّاً على ما يبدو منذ أن أُغلقت منطقة الألعاب ومناطق النزهة ، خاصة وأنها تعرف أن خالداً قد عقد صداقة مع كل من في العمارة من الأطفال والعمال ومع أصحاب الدكان وصاحب محل الحلاقة ، وحتى الرجال العاديين . . كانوا يحبون أن ينادوه باسمه ، ويبتسموا له ، وقد أصبح مدير المكتب العقاري الذي يدير العمارة يعلق عليه ، ويقول :

– خالد صنع شعبية كبيرة .

أرادت أن تحدَّ من خروجه ولقائه بالناس ، وأن يكون تحت عينيها في كل الأوقات . . لم يجد المفتاح في الباب ، ولا في

الصالة ، فجاء إلى غرفتها وهي نائمة ، فبحث على الطاولة وفي الأدراج ثم دس يده الصغيرة تحت وسادتها ، فأحست بحركتها ، ورفعت رأسها ، فسألته عما ذا يبحث ، ألقى بنفسه عليها ، وقبلها في جبينها بمكرٍ ثم قال لها بدلال :

– أريد المفتاح . . أصدقائي في الخارج يلعبون .

– لن تستطيع اللعب فركبتك مصابة . . كما أنني أخاف عليك من الوباء . . هذا مرض خطير وشديد العدوى .

– لقد شُفيتْ ركبتي ، ولن أفعل ما يزيد من ألمها ، وأما الوباء فلا تخافي علي منه ، أنا قوي ، ولن يصيبني المرض .

– يا بني ، أنت ضعيف ، وهذا المرض خطير يُعدي من بعيد ، فبمجرد أن يمر بجانبك أحد مصاب به ، فإنه سوف يُعديك .

– لن أمر بجانب أي أحد ، سوف أخرج من العمارة إلى الساحة ، وألعب قليلاً ثم أعود .

دس يده من جديد ، وفتش تحت وسادتها ، حتى وجد المفتاح ، وهي تراقبه ، ولا تتكلم ، ثم أمسكت بيده ، فتجذبها ، فتركتها ، وقالت له :

– إني أحذرك . . لا تخالط أحداً ، حتى أصدقاءك ، العب معهم من بعيد .

– انتظر حتى تفطر .

- قد شربت الحليب ، وسوف أنزل ريثما تجهزين لي «الأومليت» .

- ودرسك من القرآن؟

- سوف أقرؤه عندما أعود . . أعدك بذلك .

- لا تلعب بركبتك المريضة . . يكفيك أن تستمتع بمراقبة أصدقائك ، لديك عشر دقائق فقط .

- إن شاء الله .

التقط كُرته ونزل . . تجول أسفل العمارة فلم يجد أيّاً من أصدقائه ، وتوجه إلى الساحة فوجدها فارغة . . مكث عدة دقائق في الساحة يتسلى بكرته ، وبين الحين والآخر كان يلقي نظرة على العمارة لعل أن يراه أحد أصدقائه من نافذة منزلهم ، فينزل إليه ، مرت قرابة عشر دقائق ، ولم ينزل إليه أحد ، فعاد إلى العمارة ، وهو حائر في ما يفعله . . لا يريد أن يعود ويجلس في البيت كئيباً . . تذمر ، وسخط على أصدقائه الذين لا يزالون يجلسون في بيوتهم كأنهم فتيات عاجزات عن اللعب . . قرر أن يصعد ويطرق عليهم منازلهم . . فكر في صديقه عمور ، فذهب إلى شقة أهله ، لم يشأ أن يضغط على الزرّ مخافة أن يزعج أهل البيت ، وبدلاً من ذلك طرق طرْقاً خفيفاً على الباب ، وانتظر لحظات ، لكنّ الباب لم يفتح ، فطرقه مرة أخرى ، وانتظر قليلا ، ثم انسحب . . فكر في

صديقه الآخر بلال ، فذهب إلى منزل أهله ، فطرقه ، وبعد هنيهة فتح الباب ، وأطل منه شاب ضخم ، عاري الصدر ، بمسربة كثيفة تتدلى حتى سرته . . فنظر الشاب إليه بعينين نصف مغمضتين ، وسأله غاضباً :

– ماذا تريد؟

قال له :

– هل بلال موجود؟

صرخ فيه :

– يا كلب ، من بلال؟ . . هل أنت بلا أهل؟ . . كيف يسمحون لك بالخروج في مثل هذا الوقت المبكر وطرق بيوت الناس ، اغرب عن وجهي ، وإلا أوسعتك ضرباً . . هيا!!

أخذته المفاجأة ، واستدارت به الأرض من شدة الخوف ، لكنّ قدميه تمكنتا من حمله بعيداً عندها ، وجرى بسرعة حتى تجاوز صف المصاعد من شدة الفزع ، ولما أراد أن يرجع إليها ، خاف أن يلحق به الرجل ، ووجد نفسه أمامَ باب السُّلَّم فدفعه ، ونزل في الظلمة ، فلم يكن يستطيع أن يتريث ليبحث عن رز المصابيح ، وكاد مرات عديدة أن يسقط ، لكن مسند السلالم كان ينقذه ، وظل ينزل حتى تأكد أنه أصبح في مأمن ، فتوقف ، وجلس على السلم يلتقط أنفاسه اللاهثة . . كان جسمه كله يرتعد ، وقلبه يكاد

يخرج من فمه من شدة ضرباته ، بقي هناك جالساً عاجزاً عن الحركة ، وبعد ساعة تحامل حتى وقف . . ما زالت رجلاه ترتجفان بعض الشيء ، أحس بألم شديد فيهما . . لكنه حاول أن يتحرك ، وتذكر أنه في غمرة خوفه وهروبه سقطت منه الكرة ، وعرف أنها سقطت على السلالم ، لأن صوتها كان يدق في رأسه ، وهي تتدحرج خلفه ، وتمنعه من أن يميز ما إذا كان الرجلُ يطارده أم لا ، ولم يتوقف حتى توقف ذلك الصوت ، وتأكد أن الرجل لا يطارده ، خرج من باب السلم ، وتفقد الطابقَ الذي أصبح فيه الآن ، فوجده في الطابق الخامسَ عشرَ ، لقد نزل خمسة طوابق تحت الطابق العشرين الذي أتى منه . . لقد كان شوطاً طويلاً ، كيف استطاع أن ينزل كل تلك الأدوار بسرعة هائلة من غير أن يسقط . . استقلّ المصعد إلى الدور الثامنَ عشرَ مقدِّراً أن كُرتَه سوف تكون قد استقرت هناك ، ووجدها قابعةً بين كومة الأثواب المرمية على منعطف السلم بين الطابق الثامنَ عشرَ والسابعَ عشرَ .

نزل إلى الأسفل وقد يئس من ظهور أحد أصدقائه ، فأراد أن يتسكع قليلاً تحت العمارة قبل أن يعود عودة كئيبة إلى البيت ، ويا لسعادته عندما رأى صديقه عمور ، فتهلل وجهُه ، وبادره عمور ، قائلاً :

- أين كنت؟ هل طرقت علينا الباب قبل قليل؟ . . لقد

أيقظني طرْقٌ خفيفٌ على الباب ، فقلت إنه لا بد أن يكون أنت ، لكنني لم أجدك .

– نعم هو أنا ، لكنني عندما لم تفتح ، ذهبت لأبحث عن بلال .

– وهل وجدته؟ . . تبدو متعرِّقاً ، هل كنتما تلعبان؟

– لا يا أخي ، لقد فتح البابَ رجل ضخمٌ جداً ، وكاد يضربني . . لولا أنني هربت منه . . من يكون ذلك الرجل؟ . . هل هو أبوه؟

– لا أدري ، لم أر أباه قط . . أعرف فقط أمه ، إنها مدرّسة طيّبة .

– آه يا صديقي ، ظننت أنني سأموت ، نزلت جرياً مع السلالم ، والحمد لله أنني لم أسقط ، وإلا كنت الآن ميتاً .

– ها ها ها . . . كم أنت جبان!

– لو كنتَ مكاني لكنتَ ذُبتَ تحت قدميْ ذلك الرجل . . أنت لم تشاهده ، لقد كان ضخماً ، صدرُه ومنكباه عاريان مكسوّان بشعر كثيف مخيف . . ظننت نفسي في مواجهة وحش رهيب . . اقشعرَّ جلدي وأنا أنظر إليه . .

– حقّاً . . كلُّه شعر؟ أوه . . هذا مخيف!!

لعبا تحت العمارة نحوَ نصف ساعةٍ ثم جاءت بشرى ، وأبلغت

خالداً أن أمه تريده للإفطار ، فذهب معها ، وصعد عمور أيضاً إلى شقة أهله .

عند المساء ، لم يخرج من العمارة ، لكنه التقى بعمور وصديقين آخرين ، ولعبوا الغميضة على السلالم ، وفي المصعد بعض الوقت ، ثم نزلوا إلى الصالة الرياضية في الطابق «H» فوجدوها مفتوحة ، وهناك رجل فلبيني يتدرب ، فدخلوا وتدربوا على آلات مختلفة ، وتبارَوا في رفع الأثقال ، وأحدثوا ضجيجاً ، فنهرهم الرجل الفلبيني ، فسكتوا وذهب كل منهم إلى آلة يلعب عليها ، وعندما ذهب الرجل إلى المسبح تركهم في الصالة ، لكنهم تبعوه ، يريدون أن يدخلوا المسبح ، فمنعهم من الدخول ، فرجعوا إلى الصالة ، ولما انتهى الرجل من السباحة ، رجع إليهم ، وأخرجهم من الصالة ، وأغلقها بالمفتاح .

عند المغرب ، نزل مع أبيه إلى المسجد ، ولقي هناك صديقه عمور الذي كان تواعد معه ، وعندما انتهت الصلاة نزلا سريعا ليتجولا في المكان ، رغم أن والد خالد كان قد شدد عليه أن لا يخرج من المسجد قبله . . ذهبا إلى بقالة «الثمار اللبنانية» ، واشتريا شكولاته ، ورجعا يتسكعان ، وكان يحلو لهما التسكع في مثل ذلك الوقت ، يسرقان قرابة نصف ساعة قبل أن ينتبه أهلوهما إلى غيابهما ، لكنّ المساءات لم تعد كما كانت ، فقد أصبح نزول

الأطفال في كل الأوقات مقلقاً ، وفي ذلك المساء عندما رجع أبوه ولم يجده في البيت ، غضب ونزل سريعاً يبحث عنه ، وكان من حظ خالد أنه رأى أباه قبل أن يراه هو ، وكان هو وعمور في الساحة بين مواقف السيارات ، فاندسا حتى تجاوزهما وأسرعا إلى العمارة ، ووجدا المصاعد الأربعة كلها في الأعلى ، فوقف خالد قلقاً متوتراً ، خوفاً من أن يدركه أبوه هناك ، وأخيراً تنفس الصعَداءَ عندما انفتح باب المصعد ، ودخلا فيه .

في الأسفل ، أخبر ناطور العمارة الأبَ بأن خالداً صعد إلى الشقة ، فصعد ، وعندما دخل المنزل ناداه إلى الصالة ، وأجلسه أمامه ، خائفاً مرعوباً ، وسأله :

- إلى أين ذهبت ، بعد الصلاة .

قال له ، مواراباً :

- كنت هنا .

- هنا أين؟

- طلب مني صديقي أن أذهب معه ليشتري لأهله بعض الأغراض من البقالة .

- من البقالة؟! . . من البقالة ، يا غبي . . ألم أنبهك أن لا تذهب في هذه الظروف إلى أي مكان إلا بصحبتي أو بصحبة أمك؟! ألم أنبهك بشكل خاص أن لا تدخل البقالة بالذات؟!

ظل مطرِقاً ، ولم يجب ، فقال له :

- أجبني ، هل نبهتك على ذلك أم لا؟

هز خالد رأسه بالإيجاب ، فسأله :

- إذن ، فلماذا ذهبت إليها؟

كانت أمه قد التحقت بهما ووقفت تنظر ، وحين أحست بتصاعد الأمور ، جلست بقرب خالد ، فاندسَّ في جنبها ، لتتولى الدفاع عنه :

- لم يكن يقصد أن يعصي أمرك ، لقد قال لي : إن صديقه ألح عليه أن يذهب معه ، ولم يكن يظن أنه سوف يدخل به البقالة ، لكنه في المرة القادمة لن يعيدها .

- لا ، لقد ذهب متعمِّداً ، وهو يعرف أنني حذرته ، وأفهمته أن دخول المحلات التجارية في هذه الظروف خطير على جميع الناس ، وخاصة الأطفال ، لكنه يعصي أوامري عن قصد!!

- سامحْه هذه المرة ، ولن يعود إلى ذلك .

- هذا خطأ لا يمر من دون عقاب ، لقد عرض نفسه للخطر عامداً .

- سوف يتعهد لك بأن لا يخرج في هذه الظروف من دون علمنا .

نظرتْ إلى خالد ، وقالت له :

- هل تعد أباك بأنك لن تخرج من غير إذن؟

هز رأسه موافقاً ، فقال لها أبوه : ليس قبل أن تنطقها .

قالت له أمه :

- قل له إنك لن تخرج من غير إذنه .

تمتم بها بينه وبين نفسه ، فقال له أبوه : لم أسمعك .

غمزت الأم للأب لكي ينتهي من تلك المُحاجَّة ، في الوقت الذي رفع فيه خالد صوته قليلاً قائلاً :

- لن أخرج . .

وسكت عن بقية الجملة ، وقف الأب من مكانه ليذهب إلى غرفته ، وهو يتوعد :

- إذن لا تنسَ عهدك . . في المرة القادمة لن أسامحك!

بعد أن هدأ خالد وذهب خوفه ، تركته أمه يذهب إلى غرفته مع أخته بشرى ، ليحل واجباته المدرسية .

بعد ساعة دخل أبوهما عليهما ، وذكرهما بدرسهما اليومي المعتاد ، كما يسميه «نصف ساعة من الإنكليزية» ، وهو عبارة عن درس قراءة لنصوص من المحادثة الإنجليزية للمبتدئين ، وكان خالد وبشرى مبتدئين في الإنجليزية ، فهذه أول سنة لهما في دولة الإمارات ، وكان نظام التدريس الذي تعودا عليه في موريتانيا ، يعتمد اللغة الفرنسية كلغة ثانية ، وليست الإنكليزية ، وقد انخرط

خالد في المدرسة مباشرة في الفصل الرابع ، أما بشرى فكانت تتابع دروساً من الإنجليزية في معهد خاص من أجل التحضير لدخول الفصل السادس في العام المقبل . .

تململ خالد متذمراً ، وكانت بشرى تتحمس لتلك الحصة وحدها ، لأنها تظهر فيها بمظهر المتفوقة على خالد ، فتصوب عباراته ، وتسبقه إلى شرح معاني بعض العبارات ، أما خالد ، فلا تروقه ، لكنه يذعن لها خوفاً من أبيه .

بعد الدرس تعشّيا وناما .

اليوم الرابع

كانت لدى خالد في ذلك اليوم خطة جديدة للتحايل على التضييق الذي أصبح يعاني منه في الخروج ، وهي أن ينزل ضحىً ليلعب الكرة مدة ساعةٍ ، في الساحة الخلفية ثم يعود للبيت ، وينزل للصلاة في المسجد كلما سمع الأذان ، لا يتخلف عن أي من الصلوات الخمس ، وكان قد تعود على حضور الصلوات في المسجد ، ويجد في ذلك متعة ربما من باب التنويع لأنها تعطيه فرصة للخروج من البيت ، لكنه لم يكن حريصاً جدّاً على حضور كل الصلوات ، فإذا تعارض وقت الصلاة مع وقت مهم من أوقات اللعب ، يتنازل عن الصلاة لصالح اللعب ، وهو يدرك أنه طفل ولا تجب عليه الصلاة ، لكنه رغم ذلك يقضيها إذا رجع إلى البيت ، ويحس بالذنب إن هو نسيها فترة طويلة .

في ضحى ذلك اليوم ، وجد المفتاح على الطاولة في غرفة نوم أبويه فالتقطه ، وفتح الباب بحذر وخرج متأبطاً كُرتَه ، وكان قد اتفق مع عمور أن ينزلا كل يوم في تلك الساعة ويلعبا ، وقد

استطاع عمور أن يأتي باثنين آخرين من أصدقائهما ، هما صهيب ومراد ، فذهبوا إلى الساحة ، ولعبوا الكرة برهةً ، لكنّ خالداً كان قد قرر أن يقوم بمغامرة ، وهي أن يتجول في القصباء ، فمنذ أربعة أيام لم يدخلها ، وقد جاء احتجازُ الدراجة ليحرمه منها تماماً ، وهكذا أغرى أصدقاءه بأن يذهبوا في جولة ، فاستجاب له عمور وصهيب ، وآثر مراد أن يرجع متعلّلاً بأن أباه قد حذره من الخروج أو الذهاب بعيداً .

دخلوا من بوابة القصباء ، وصعدوا الجسر الخشبي ، ونزلوا منه ، وتسكّعوا أمام المقاهي هناك ، ثم ذهبوا إلى الجسر الغربي ، وارتقوا سلّمه ، وكانوا يريدون أن يسيروا فوق الجسر ليتعدّوا إلى الجهة الأخرى ، لكنّهم وجدوا رصيف الجسر ضيّقاً ، وحركة السيارات قوية ، فخافوا ، ورجعوا نازلين وعادوا إلى الجسر الخشبي ، وكان يروق خالداً أن يمشي فوقه مِشيةً عسكريّةً ، فيضرب قدميه بقوة ، ليسمع طقطقة ألواح الخشب تحته ، وطلب من صديقيه أن يقوموا بـ«مارشْ عسكري» فوق الجسر ، وهكذا اصطف الثلاثة وتحركوا ، محْدِثين ضجيجاً وطقطقة عالية ، ولما وصلوا إلى نهاية الجسر ، قرروا أن يرجعوا معه ثانية لكي يمتعوا أنفسهم بذلك «المارش العسكري» ، لكن أحد الحراس الأمنيين على الجانب الجنوبي من القناة سمع ضجيجهم ، فصعد مع السلم في اتجاههم ،

ولما رأوه مقبلاً نزلوا مسرعين ، واتجهوا إلى البوابة ، وراقبهم الحارس من فوق الجسر حتى اختفوا خارج القصباء ، لكنهم هم أيضاً كانوا يراقبونه من ركن البوابة ، حتى رجع ، فعاودوا الدخول إلى القصباء ، وهذه المرة اتجهوا شرقاً إلى منطقة الألعاب ، ليُلقوا عليها نظرة من قريب ، وهناك رأوا جسور ومدرجات اللعب المطاطية التي تنصب بنفخ الهواء فيها قد سحب منها الهواء وكُوِّرت في أماكنها ، وغطيت بواقيات مطرية ، والدراجات الكهربائية هي الأخرى مركونة مغطاة ، وكل شيء هامد ساكن . . تأسفوا لما رأوه ، وتمنوا أن يعود لذلك المكان نشاطه في أسرع وقت كي يتمتعوا بألعابه .

تفحَّص خالد المكان من حوله ، فلم يرَ أحداً من الحرّاس ، وكان يحيط بمنطقة ألعاب القفز والمراجيح سياجٌ حديديٌّ قصير قفز من فوقه ، وأشار لصديقيه أن يتبعاه ، حذره صهيب من أن الحراس قد يرونه فيأتوا ويمسكوا به ، سخر منه قائلاً :

– أنت جبان . . نحن هنا لا يرانا أحد ، ولن يأتوا إلينا ، وحتى إن جاؤوا فسوف نجري ، ونخرج من هذا الباب قبل أن يصلوا إلينا .

تركه ، وصعد مع السلم الخشبي لأحد الألعاب ، وارتمى إلى الأسفل عبر المسرب النازل في الجهة الأخرى ، ثم صعد ثانية ، ثم ارتمى نازلاً ، ثم صعد ، وأراد عمور أن يلتحق به ، لكنّ صهيباً صاح

بهما وقد رأى من مكانه حارساً قادماً من جهة الشارع ، وقد دخل من الباب القريب الذي كان هو أقرب وأسرع طريق لهم للنجاة . . وجد عمور وصهيب طريقاً للنجاة عندما انطلقا راجعين مع الطريق التي جاءوا منها ثلاثتهم ، ووصلا إلى البوابة الرئيسية للقصباء ، ونجَوَا بنفسيهما من دون أن يفطن إليهما أحد ، أما خالد فقد بقي محاصَراً يلوذ بأسطوانات وأعمدة الألعاب ، وقد تملَّكه الرعب ، وانفجر بالبكاء ، فأشفق عليه الحارس من أن يموت رعباً ، وأخذ يهدئه من مكانه ، ويدعوه إلى الخروج إليه ويبتسم له ، وكان يتكلم بالإنجليزية ويشير إليه إشاراتٍ ليُفهمه أنه لن يعاقبه ، وبعد عدة محاولات خرج متوجساً يسير ببُطء ، حتى وصل إليه ، وقد أخذ الحارس في الضحك بسبب حالة الرعب التي أصابت خالداً ، وعندما جاءه أمسك بيده بلطف ، وبدأ يطمئن له . . يبدو رجلاً طيباً ، من أولئك الأفارقة السود ، يشبه أبناء بلده الزنوج الطيبين الذين عاش معهم في «حي الزّعتر» الشعبي ، وكان كثير من أطفالهم زملاءَ له في مدرسة «المنابع» ، وكانوا يلعبون معاً ، ويتقاسمون الخبز وعصير «البِصامْ» البارد الذي يشترونه أثناء فسحة العاشرة من عند تلك الزنجية الطيبة «افَّاتُو» ، التي كانت هي أيضاً طيبةً وكريمةً ، فكانت في بعض المرات تعطيه المشروب إذا لم تكن عنده عشرون أوقية لشرائه ، وقد نسي أن يقضيها دينها

قبل سفره ، لا بد أن يدفع لها لاحقاً . . ذكّرته ابتسامة الحارس بابتسامة «مِسْييهْ تْيامْ» مدير المدرسة الحنون الودود .

شرح له الحارس أنه لا ينبغي أن يدخل تلك المنطقة مجددا ، لأن ذلك ممنوع ، ويعاقب عليه ، وفهمه خالد ، فهزّ رأسه موافقاً وواعداً بأنه لن يرجع إلى ذلك المكان مرة أخرى ، ورافقه الحارس حتى خرج من باب «القصباء» وتعدّى الشارع ، وحين افترقا ، جرى خالد في اتجاه العمارة كما لم يجْرِ من قبلُ ، وكأنه لا يصدق أنّه نجا من العقاب على ما فعله ، ولم ينتبهْ إلا وقد وصل ، واستقبله عمور وصهيب ، اللذان كانا قد اندسّا بين السيارات بجوار العمارة ، ولبثا هناك ينتظران ليعرفا ماذا سيكون مصير خالد .

كان خالد في غمرة خوفه قد نسي الكرة تماماً ، ولم يتذكرها إلا حين رآها بيد صهيب الذي كان يتأبطها عندما باغتهم الحارس ، وقد ظل يمسكها بقوة من دون وعي منه حتى وصل إلى العمارة .

قال له عمور :

– الحمد لله أنك جئت ، كنت قلقاً عليك!

قال له صهيب :

كيف تخلصت منه . . هل ضربك؟ . . خشيت عليك ، أن يذهب بك إلى الشرطة .

لم يستطع أن يتكلم ، كان لا يزال زائغ البصر طائر اللُّبِّ ، وقد أمضى لحظات وهو يحاول أن يضبط نفَسه الذي كان يصعد ويهبط بقوة ، وقلبه يضرب بشدة ، حتى خُيِّل له أنه سيخرج من فمه ، وأصابته نوبة سعال ، ثم أخذ يهدأ ، وتمشَّى في اتجاه العمارة ، وصديقاه بجانبه صامتين ، وعند باب العمارة قال لهم ، وهو يحاول بصعوبة أن يستجلب ابتسامةً عصيَّةً :

– هل تصدقان . . لم يفعل لي أي شيء . . لقد كان طيباً ، وتركني أذهب .

لم يخبر خالد أصدقاءه بأنه كاد يموت من الخوف ، وأن الحارس ذلك رق له ، فتركه يذهب ، لكنه في روايته للأحداث بعد ذلك اليوم ، سيقول فقط إنه اعتذر للحارس ، وإن الحارس سامحه .

أسرع إلى شقة أهله ، ودخل بهدوء لكي لا تشعر أمه بقدومه ، رأى بشرى منهمكة في المطبخ ، فتعداها بسرعة لكنها لمحته ، وصاحت به :

– خويلد . . يا مجرم ، تخرج من غير إذنٍ وتأتي تتسلل كاللص ، سوف ترى ما ذا ينتظرك!!

فكر أن يرجع إليها ويضربها ، لكنه لا يريد أن يثير ضجيجاً ، فأمه ربما لا تزال نائمة . . حين أطل في غرفتها لم يرها ، وسمع

صوت الماء في الحمام ، فعرف أنها هناك ، فاغتنم الفرصة ودخل هو بدوره الحمام الآخر ، وصب الماءَ على كامل جسده ، وفرَك وجهَه بقوة كي يذهب عنه التشنُّج ، وتنفس بعمقٍ ، وانتظر تحت الرشاش حتى هدأ جسمُه وانتعش وذهب عنه الروع ، وعندما خرج كان منتعشاً مبتسماً ، وحين خرجت أمه ورأته ، بادرته بالسؤال :

– أين كنت؟ . . لماذا خرجت من دون إذني؟!!

– أمي لم أذهب بعيداً ، كنت تحت العمارة ألعب لمدة عشر دقائق فقط .

– عشر دقائق ، يا كذّاب! . . منذ ساعة وأنا مستيقظة ، وأنت لست موجوداً ، وقد تطلعت إلى الساحة فلم أرَك فيها .

– لن ترَيْني . . لأننا كنا تحت العمارة من الجهة الغربية .

– يا ولد . . أنت مجنون!! هل تريد أن يقع لك ما وقع بالأمس؟! لقد حذرك أبوك من الخروج من دون إذنه ، وتعرف أنه لن يسامحك مرة أخرى .

– لن أخالف أوامره ، ولن أخرج من دون إذن .

أعدَّت بشرى الفطور فأفطروا ، وذهب خالد إلى غرفته ، واستخرج جهازه اللوحي ، وانهمك في الألعاب ، حتى أُذّن لصلاة الظهر ، فجاء إلى أمه يستأذنها في الخروج للصلاة . .

قالت له :

- لا تذهب إلى مسجد برج «الريبوت» ، بل انزل إلى المصلى الذي في عمارتنا ، وصلّ فيه .

- مُصلّى عمارتنا سيكون فارغاً الآن من المصلين . . وربما يكون مغلقاً ، فنادراً ما أجد فيه أحداً في صلاة الظهر .

سكتت ، ففتح الباب ليخرج فاستوقفته ، وحضّته على أن لا يتعدى المسجد إلى أي مكان آخر ، وأن لا يختلط بالناس .

نزل واتجه إلى برج «الريبوت» حيث المسجد ، اجتاز المدخل الجانبي الموصل إلى المصعد ، ومر من أمام البرج مهرولاً ، فلقي أحد المصلين الذين يعرفهم وألقى عليه السلام ، فرد عليه الرجل :

- وعليكم السلام . . إلى أين؟ تعال هنا ، الصلاة سوف تقام بعد دقيقة واحدة .

قال له ، وهو يسرع في طريقه :

- أنا قادم ، الآن .

التفَّ حول البرج يبحث عن بعض الأطفال من سكّانه ، فقد كانوا كثيرا ما يلعبون هناك في الأيام العادية ، وكان يمر بهم فيلعب معهم ، لكنه لم يجد أيّاً منهم هناك ، ورأى في مواقف السيارات تحت البرج جروَ قط صغيراً فتأمله فإذا قطةٌ مندسة بجرائها تحت طاولةٍ خَرِبةٍ في ركن الموقف . . اقترب منها ، وجلس على ركبتيه ،

وأسند يده على الطاولة ، وهوى برأسه إلى الأسفل حتى تمكن من رؤية الجِراء وعدّها ، فكانت أربعة جراء صغيرة جميلة ، وبدت الأم ضامرة جائعة ، فأشفق عليها من الموت ، وعزم على إخبار أمه بها لكي تعطيه شيئاً من اللحم فيجلبه إليها ، وقام ليكمل لفّته بالبرج ، وفي الطريق تذكر أنه لا يستطيع أن يخبر أمه بمكان القطة لأنها ستعرف أنه لم يلتزم بما أمرته به ، فتحيّر في ما سيفعله ، لكنه حلّ الإشكال بأن عزم على أن لا يحدد لها بالضبط المكان ، ويقول لها فقط إنه وجدها في طريقه إلى المسجد .

بعد أن فرغ من الصلاة أسرع إلى أمه فأعطته قطعاً من اللحم عاد بها إلى القطة المسكينة ، فوجدها قد خرجت من تحت الطاولة ، وهي تتمدد لتنفض عن نفسها التعب ، وكانت ضامرة بشكل غير عادي ، فقرفص غيرَ بعيد منها ، ورمى لها قطع اللحم واحدةً تلو الأخرى ، وراقبها وهي تلتهم القطع ، ومن شدة جوعها كادت تغص بإحداها ، فرفع يده ليضربها على عنقها ، كما تعود أن يفعل مع أصدقائه في حيّهم بـ«دار النعيم» في «نواكشوط» ، حين يغص أحدهم بقطعة لحم أو لقمة كسكس أو أُرز أو أي شيء آخر ، وكثيراً ما كان ذلك يحدث لهم في أيام المناسبات العائلية ، من زواج أو عقيقة أو دعوة ، فيتجمع الأطفال أمام أو داخل المنزل الذي تقام فيه الوليمة ، وينتظرون أن يعطيهم المشرفون على التنظيم

نصيبَهم ، وحين يوضع بينهم صحن «الأطاجين» أو الأرز أو الكسكس يتسابقون إلى التهام ما فيه ، ومن شدة المنافسة والخوف من الغبن ، قد يضع أحدهم لقمة كبيرة في فمه ، ولا يجد الوقت الكافي لمضغها فيبتلعها دفعة واحدة ، فتستقر في بلعومه الصغير وتعلق هناك ، ولا يرحمه رفاقه ، فيبادرون إلى ضربه على عنقه كي تتحرك اللقمة إلى الأمام أو الخلف ، وكثيراً ما تنجح طريقتهم تلك ، لكنها تؤلم ذلك المسكين الغاصّ بلقمته ، وربما يسقط مغشيّاً عليه بعد أن يتخلص من الغصة ، وكان بعض الأطفال الخبثاء ينتهزون تلك الفرصة للإضرار بزميلهم بضربه ضرباتٍ قويةً متتاليةً قبل أن يفيق من أزمته .

قفزت القطة إلى الخلف مبتعدة عن يده ، وابتعلت القطعة ، والتحق بها جراؤها ، ووقفت تقلب النظر بينه وبين بقية قطع اللحم . . عرف أنها أصبحت متوجسةً منه ، فبدأ يرمي لها القطع واحدةً تلو الأخرى ، فكانت تلتهمها بسرعة ، ولم تهتمّ بإعطاء أي من جرائها قطعة لحم ، وهذا ما أثار استغراب خالد ، فالقطة تلتقط اللحمة قبل أن تستقر في مكان سقوطها ، وقد اعتبر استئثارها باللحم دون جرائها قسوةً ، وفقداناً للحنان ، فقد كان يعتقد أن كل أم لا بد أن تؤثر صغارها على نفسها ، وقد شاهد ذلك مراراً ، خاصة عند الطيور ، فكثيراً ما كان هو وأصدقاؤه يراقبون الحمام في

الحدائق المجاورة لحيهم ، ويشاهدون لحظة رجوع الحمامة إلى صغارها حين ترمي إليهم ما في فمها من أكل ، وتتركهم ينهشونه بمناقيرهم الغضة .

قال خالد وقد مد إصبعه في اتجاهها :

- أنت أم قاسية ، ليست لديك ذرة حنان! ألا ترين إلى جرائك المساكين جوعى وأنت قد شبعت من اللحم؟ . . لن أجلب لك شيئا بعدها ، حتى ولو كنت ستموتين من الجوع .

تمددت القطة غير عابئة بكلامه ، واستلقت على جنبها بجوار الطاولة ، فأسرع إليها جراؤها ، وأخذ كل منهم بثدي من أثدائها ، فابتسم خالد لذلك المشهد ، وعرف أنه ظلمها ، وقام مولّياً .

في طريقه إلى المنزل رمى ببصره في اتجاه مدخل القصباء ، فرأى من بعيدٍ ذلك الحارس الذي أمسك به من قبلُ فأشاح عنه ببصره ، وواصل طريقه ، قاطعاً الشارع بين العمارتين ، وتفحص الساحة المجاورة لعمارتهم بحثاً عن بعض أصدقائه ، لكنه لم يجد أحداً . . تذكر أن في جيبه خمسة دراهم منذ البارحة ، فأخرجها وتجاوز باب العمارة ، والتفّ نحو الدكان . . تردد قليلاً ببابه ، هل يدخل أم يخبر البائع بما يريده ، ويلزم مكانه حتى يعطيه إياه؟ . . لم يكن لِيفوِّتَ على نفسه فرصة أن يتجول داخل البقالة ، وينظر إلى المعروضات الجديدة من الحلوى ، ويتخير نوعية «الآيس كريم»

التي يريدها . . سوف يكون ذلك مبهجاً لقلبه .

التفت حوله متوجّساً رغم أنه متأكد أن أباه لا يزال في عمله وأمه لن تنزل في تلك الساعة ، لكنْ ليُطَمْئن قلبه أن لن يراه أحدهما وهو يخالف الأوامر . . دفع الباب ودخل فاستقبله البائع بابتسامة ، وسأله عن ما يريده ، لكنّ خالداً لم يجبه ، وتعدّاه يتفحَّص معروضات المقرمشات والمكسرات والحلوى . . أعجبته علبة مقرمشات من رقائق البطاطا ، فتفحصها يبحث عن ثمنها ، لكنه لم يكن مكتوباً عليها ، وأخبره البائع أنها بثمانية دراهم ، فعرض عليه أن يدفع له الخمسة التي بحوزته على أن يأتيه لاحقاً بثلاثة دراهم ، فقبل البائع ، وحين أراد يعطيه النقود تذكر أنه إنما جاء لكي يشتري «الآيس كريم» ، فلا تزال في البيت بقايا من رقائق البطاطا المقرمشة قد اشترتها بشرى منذ يومين ، ولا يمكن للبطاطا أن تعوض الطعم الحلو والبارد لـ«لآيس كريم» . . اشترى واحدة منها وخرج يمتصّها .

سُمح له في المساء أن يلعب الكرة لمدة ساعة في الساحة المجاورة ، وهناك التحق به بعض أصدقائه ، ولعبوا ثم عادوا لأهليهم .

في الليل علم بالقرار الذي اتخذته حكومة الإمارات بإغلاق المساجد ومنع كل أشكال الصلاة الجماعية . . على التلفزيون وصل

عدد الحالات في الإمارات إلى ٩٣ حالة ، والأمور تتجه للزيادة ، ولا بد من تكثيف الإجراءات الاحترازية . . قُيّدت المناسبات الاجتماعية ، وأُمر أصحاب المحالّ التجارية باتخاذ إجراءات احترازية ، ووسائل وقاية .

تحسَّر خالد لأن الخطة الجديدة التي وضعها للخروج من المنزل عدة مرات يومياً يبدو أنها سوف تتوقف ، فلن يستطيع غداً أن يقول لأمه إنه سينزل للصلاة في المسجد ، لقد أغلقت المساجد ، ولا أحد يذهب إليها للصلاة . . يا له من حظ تعيس ذلك الذي يعيشه الآن! . . كيف سيخرج غداً للّعب؟! . . هل سيبقى اليوم كله في البيت ، يتشاجر مع بشرى ويستمع إلى صراخ أمه التي تعتبره دائماً هو الظالم عندما يتشاجر مع بشرى ، وتترصد حركته كي لا يفسد شيئاً من أثاث المنزل أو يتلف أدوات المطبخ .

كان على سريره يتأمل القصباء من النافذة . . منطقة الألعاب كئيبة ، كل شيء فيها هامد . . يا إلهي متى سينتهي هذا الكورونا!! لكي تعود هذه الألعاب المسكينة للعمل ، ويعود إليها مع أصدقائه . . في الجهة الأخرى من القصباء ، وتحديداً في الساحة المجاورة للمسجد لا يزال هناك عدد من الناس يتحركون جيئةً وذهاباً . . لا يميّز أعمارهم ، لكنه متأكد أن من بينهم أطفالا يتحركون على دراجاتهم ، لا تزال هناك فرصة لبعض اللعب . .

غدا سوف يضغط على أمه لكي تتركه يذهب هناك ، لكن عليه أولاً أن يجد طريقةً يفكُّ بها حجز دراجته ، فهي لا تزال محتجزة منذ أن قرر أبوه ذلك من ثلاثة أيام .

اليوم الخامس

حين استيقظ صبيحة ذلك اليوم لم يخرج من المنزل كما كان يفعل كل يوم ، لكنه اتّجه إلى غرفة أمه ، واندس بجانبها على السرير ، وجعل يتمسح بها حتى استيقظت ، فعرفت أنه يفعل ذلك لأمر ما ، فسألته :

– ما بك ، يا حبيبي؟

قال لها بدلال مشوب باستجداء :

– أمي . .

– نعم يا روحي . . ما بك ، هل أنت متألم من شيء؟

– أريد دراجتي . . كل أصدقائي يلعبون الآن بدرّاجاتهم .

– دراجتك محجوزة ، وأنا ليس عندي المفتاح .

– بلى عندك . . لكنْ ، أعدك أن لا أدخل الشارع ، وسأكون حذراً .

– «كورونا» أصبح منتشراً ، وأخاف عليك منه .

– سأكون حذراً ، ولن أخالط أي أحد . . حتى أصدقائي

سوف ألعب معهم من بعيد .

- أصدقاؤك لن يخرجوا من بيوتهم ، لا أحد يخرج الآن ، لا كبيراً ولا صغيراً .

- بلى سوف يخرجون . . إنهم هناك .

- لا ، لن يكونوا هناك .

- بلى إنهم يلعبون الآن وأنا هنا قابع كالعاجز .

- سوف أفتح الستارة ، وإذا لم يكونوا هناك ، فلن أعطيك الدراجة .

- إنهم تحت العمارة ، فأرضيتها المرصوصة باللبِن أسلم لعجلات الدراجات من الساحة المليئة بالصخور الحادة .

- أنت ماكر . . تكذب علي!

نهنه ، وضرب قدميه على السرير ، وقال لها :

- هذا لا يطاق . . أنت لا تريدين سوى أن تحرميني من اللعب .

انكبت عليه وقبلته في جبينه ، فقال لها :

- لن أمضي أكثر من ربع ساعة .

- قلت لك إن المفتاح ليس عندي .

- إذن دعيني أكسر القفل .

فضحكت ، وقالت له :

- يا بطل . . أصبحت تستطيع أن تكسر الحديد؟!

- نعم ، أنا قوي . .

- قوي! . . لكن بشرى تصرعك كل يوم .

- بشرى ، هذه الضعيفة! . . اسأليها ، هي تعرف أنني أستطيع أن أصرع عشراً من أمثالها .

ضحكت مجدداً ، فقام واقفاً ، وقال لها :

- سوف آخذ المطرقة ، وأكسر القفل .

- لا . . لا . . سوف تكسر دراجتك . . انتظرني حتى أبحث عن المفتاح .

قامت إلى الدولاب واستخرجت المفتاح من أحد رفوفه ، وقالت لخالد :

- سوف تفطر أولاً ، بعد ذلك أحرّر الدراجة وأتركك تذهب بها .

أمسك بيدها وأراد أن يأخذ منها المفتاح ، لكنها لم تعطه إياه ، بل اتجهت بنفسها إلى الدراجة وفتحت القفل ونزعت السلسلة ، وتركته يخرج بالدراجة ، وهي تحثه على أن يعود بسرعة .

لم يجد أيّاً من الأطفال تحت العمارة ، ولا في الساحة ، فأخذ يتجول بدراجته على الممر المحيط بالعمارة ، لكنه سرعان ما سئم من التجوال ، فليس هناك أحد يتسابق معه أو يريه الحركات

الاحترافية التي يقوم بها . . لا أحد! . حتى عمال العمارة الذين تعودوا أن ينظفوا المكان ويسقوا الشجيرات المحيطة بالعمارة في مثل ذلك الوقت ، لم يكن هناك أحد منهم . . نزل عن دراجته ، دفعها بجانبه في اتجاه باب العمارة ، ودخل المصعد مطأطئ الرأس كئيباً .

على الإفطار أراد أن يشاكس بشرى ، فجعل ينظر إليها ويزمّ شفتيه ويفتح عينيه على آخرهما ، فقالت له :

- ما لك تزمّ شفتيك كالقرد؟!

- وأنت مالك تأكلين كالقطة الجائعة؟!

- أنت غير محترم ، أنا أكبر منك ، ولا ينبغي أن تقول لي هذا الكلام .

- أنت لست أكبر مني ، أنا رجل وأنت امرأة ضعيفة .

- أتقول إنني ضعيفة ، وأنت تعرف جيداً أنني يمكن أن أصرعك ، وأمرغ وجهك على الفراش؟!

رفع يده ليضربها ، فنهرته أمه ، لكنّ بشرى كانت أسرع منه بردة فعلها فضربته بيدها على رأسه . . انتفض واقفاً ليضربها ، فأمسكته أمه بقوة ، وأجلسته بجانبها .

لامتهما وعنفتهما على الشجار الذي لا يهدأ بينهما ، وهددتهما بأنها سوف تضربهما إن هما تماديا في شجارهما .

رن منبه وسائط التلفون مرة واحدة ، فالتقطتها ، كانت تلك

رسالة من المدرسة تخبرهم بمواعيد بدء دروس التعليم عن بداية الأسبوع القادم ، نظرت إلى خالد وقالت له :

– الحمد لله ، سوف تبدأ دروس التعليم عن بعد الأسبوع القادم ، سوف نستريح من إزعاجك لبعض الوقت!

– هاهاها . . سوف أذهب إلى المدرسة . . سيعاد فتحها ، أليس كذلك؟!

– لا . . لا . . لن تذهب إلى المدرسة ، سوف تدرس من هنا ، من البيت عن طريق جهازك اللوحي .

– كيف؟!

– قالوا إنهم سوف يبعثون لنا الرابط وكلمات المرور اليوم . . سيبدأ الأستاذ شرح دروسه بشكل عادي كما في الفصل الدراسي ، وسوف تكون أنت متصلاً به بالصوت والصورة كما نتصل بأهلنا في نواكشوط .

– آه . . سيكون هذا شيقاً .

سألتها بشرى :

– أمي ، وأنا ، هل سأتواصل مع معهدي بهذه الطريقة؟

– لا . . أنت معهدك مغلق ، لكن أولَ ما يرفع الحظر سوف تعودين إليه .

– اتْفُ . . على هذا الوباء الذي سجننا وأوقف دراستنا!!

أكملوا فطورهم . . أمرتهما بقراءة درسيهما من القرآن ، لكن خالدا ذكرها أن اليوم هو يوم الخميس ، وهو يوم الإجازة بالنسبة لطلاب القرآن ، الذين يعطّلون من مساء الأربعاء حتى صباح الجمعة .

أكبَّا على جهازيهما ، وبعد ساعة أُذن لصلاة الظهر ، فأمرتهما أمهما أن يصليا ، لكن خالدا ذهب إلى غرفته واستلقى على سريره لحظاتٍ ثم انتفض ، والتقط كُرته ، وبدأ في ضربها على جدار الغرفة ، فكان يضربها فترتد إليه فيضربها ، تارة بقدمه وتارة برأسه ، وكان صوتها قويّاً مزعجاً ، فنادته أمه من المطبخ أن يترك الكرة ، لكي لا يكسر المصابيح وأغراض البيت ، لكنه لم يتوقف ، ودخلت عليه بشرى ، فأخذت في مراوغته ، وبعد لحظات سمعت الأم صوت ضربة قوية ، وصاحبتها أصوات انكسار زجاج ، فظنت أنه زجاج النافذة ، فهرعت إليهما ، ولما دخلت وجدت زجاج المصباح قد انكسر وتطايرت شظاياه على الأرض ، ويبدو أن شظيّة منه جرحت كف خالد اليسرى ، فأخذ يصيح ويتأوه ، وكان منحنياً وظهره إلى الباب ، فانخلع قلبها ، وظنت أن الشظية أصابت عينه أو جبهته ، فأسرعت إليه من دون أن تحاذر الشظايا ، وأمسكته وأدارته إليها ، فوجدت الدم يسيل من يده ، فارتدت إليها روحها ، بعدما وجدته جرحاً بسيطاً ، فمسحت عنه الدم وعقّمته

وضمدته ، وعندما ثابت إلى رشدها أحست بألم في قدمها اليمنى ، فتفحصت قدمها فوجدتها تسيل دماً . . يبدو أنها في غمرة خوفها على ابنها داست بطرف نعلها على شظية زجاج ، وبطريقة ما انحرفت الزجاجة لتنغرز في حافة القدم العارية ، وتخلف جرحاً يسيل . . لكنه أيضاً كان جرحاً بسيطاً ، اكتفت بأن مسحته ووضعت عليه المعقم .

جمعت كسارة الزجاج ، ومسحت أرضية الغرفة جيداً ، وكانت أثناء ذلك تلومهما على اللعب بالكرة في المنزل ، وعنفت بشرى لأنها هي الكبرى ، وكان ينبغي أن تكون أعقل ، وأن لا تتصرف مثل الأطفال الذين لا يدركون ما يمكن أن تؤدي إليه تصرفاتهم السيئة .

لم تنته قضية لعب الكرة في الغرفة عند ذلك الحد ؛ فبعد لحظات من الحادثة ، رن جرس الشقة ، فأمرت خالداً أن يذهب ويستطلع من يكون الطارق ، فجاء حتى وصل إلى الباب ، وأخذ قنينة الماء ووضعها أمام الباب ، وصعد عليها لينظر من العين السحرية ، ثم نزل ورجع إلى أمه ليقول لها :

- أمي بالباب رجل . .

- ماذا يريد؟

- لا أدري ، لقد رأيته من ثقب الباب .

أثناء ذلك رن الجرس مرة أخرى ، فقالت له :

- اذهب وافتح له ، واعرف ما ذا يريد .

ذهب وفتح له ، فقال له الرجل :

- أين أبوك؟

- أبي في العمل .

- أمك موجودة؟

- نعم . . لحظة .

أغلق الباب ، وذهب يناديها :

- أمي . . إنه يريدك .

لبست ملحفتها ، وجاءت على عجل ، وفتحت الباب قليلاً ، وأطلت برأسها حتى رأت الرجل ، فبادرها :

- السلام عليكم . . أنا أسكن في الشقة التي تحتكم مباشرة ، ولم أستطع أن أنام بسبب لعب ابنكم للكرة فوق رأسي ، فكان يأتيني صوتها كبيراً قويّاً ، وكذلك عندنا صبي رضيع لم يستطع أن ينام وصار يبكي من الفزع .

- أنا آسفة جدّاً ، وأعتذر لكم عن ذلك ، وقد سحبت منه الكرة وأوقفته عن اللعب ، وإن شاء الله لن يزعجكم بعد اليوم .

- الله يخليك . . أنا ما كنت أريد إزعاجكم في هذا الوقت ، لكنني لم أستطع الصبر على ذلك الطرق الشديد فوق رأسي .

- أكرر أسفي ، ولن يتكرر ذلك . .

- شكراً جزيلاً .

انسحب الرجل مولّياً ، وأغلقت الباب ، وأقبلت تكاد تنفجر من شدة الغيظ .

وأمسكت بالشبشب تريد أن تضرب به خالداً وبشرى ، ولكنها لما رأت جرح خالد الذي ضمدته لتوّها أشفقت من أن تضربه فتزيد جرحه ، فجعلت تلومهما ، وهي تكاد تبكي من شدة الغضب .

كان خالد يتوجس من أن أباه سوف يغضب إذا رأى الدراجة وقد حررت من قيدها ، وقد ازداد توجسه بعد أن كسر هو وبشرى زجاج المصباح الكبير في غرفتهما ، وازداد الأمر سوءاً بذلك الرجل الذي جاء يشتكي منهما ، لقد ظل خالد يعدد تلك الجرائم منفردة ومجتمعة ، وهو يدرك أن كل واحدة منها وحدها يمكن أن تبلغ به أقصى عقاب على يد والده ، فكيف بها مجتمعة . . كان خوفه يتعاظم كلما اقتربت عودة أبيه ، وقد نقل خوفه ذلك إلى أمه ، فطمأنته أنها سوف تتولى الأمر ، وأنه لن يحدث له شيء . . وعندما رجع أبوه من دوامه ، وتغدى وشرب الشاي استدعاه ، هو وبشرى ، وسألهما :

- أحقا ، لعبتما الكرة اليوم في الغرفة ، وكسرتهما زجاج المصابيح .

هز خالد رأسه ، وقال :

- هو مصباح واحد فقط .

- مصباح واحد أو عشرة!! هل كان مثبتا هناك لكي تكسروه؟!

- لا . .

- هذا فساد متعمد ولا بد له من عقاب ، فما هو أنسب عقاب لكما الآن؟!

لم يتكلما ، فقال لهما :

- أنا أعرفه . . أنسب عقاب هو أن أسحب منكما جهازيكما لمدة يومين كاملين .

أصيبا بدهشة ، فيومان كثير ، خصوصا على بشرى التي أصبح الجهاز صديقها الوحيد منذ أن توقفت الدراسة في المعهد . . فقالت له :

- أبي . . اعف عنا هذه المرة ، ولن نكسر شيئاً بعدها .

- صحيح . . لن نعود إلى ذلك ، وسنكون حذرين .

- من يضمن لي ذلك؟

قالت بشرى :

- نحن صادقان ولن نكذب عليك .

- ما دمتما صادقين ، ولن تكذبا علي ، فقد عفوت عنكما ، لكن تذكّرا أن هذا خطأ جسيم ، وأنني في المرة القادمة لن أعفو عنكما .

قال خالد :

- إن شاء الله ، شكراً لكي يا أبي .

ورغم أن أباه تنبه إلى أن السلسلة قد نزعت عن الدراجة ، فإنه لم يسأله عن ذلك ، فقدّر خالد أن أمه ربما أقنعت أباه بأنها هي التي نزعت السلسلة .

كانت خطته لذلك المساء تقتضي أن يقنع أمه بأن تخرج معه في جولة في القصباء ، وقد أصبحت أمه في الأيام الأخيرة حذِرةً ، ولا تخرج إلا لضرورة ، رغم أنها من قبل كانت تخرج تقريباً يوميّاً لتتمشى على القناة ، وآخر مرة خرجت فيها كانت منذ يومين حيث ذهبت هي وبشرى لشراء بعض الحاجيات من سوبرماركت «كارفور» . . أخبرها أنه يريدها أن تذهب معه بعد المغرب إلى القصباء ، لتتمشى كعادتها ، ولكي يتجول هو بدراجته قليلاً . . تلكأت في الاستجابة لطلبه فألح عليها ، وأظهر لها الغضب ، فوعدته أن تخرج معه ، فقضّى بقية يومه مسروراً ، يلبي كل طلباتها ، حتى إنه بعد الغداء جلس على «مواعين الشاي» ، وقال لها إنه سوف يعدُّ لها الشاي ، فسُرَّت بذلك وتركته يحاول ، وأكثر ما كان خالد يحبه في إعداد الشاي الموريتاني ، هو صناعة الرغوة التي كان يرى أخاه والفتيان الكبار يبرعون فيها -عندما كان في موريتانيا- وكان يحلو له أن يحاكي صبهم للشاي بين الكؤوس

عدة مرات ، حتى تنشأ فوقه تلك القفة البيضاء التي تأخذ نصف كأس الشاي العلوي فتحيله بما فيه إلى لوحة جميلة . . كان يفعل ذلك حين يجد مواعين الشاي وبها بقية شاي ، فيجلس يصبه بين الكؤوس ، لكنه دائما يفشل في مزج الماء والشاي والسكر والنعناع بالمقادير المطلوبة ، فمرة يصنعه مرّاً قليل السكر ، ومرة يزيده عن المعتاد فيكون حلواً جدّاً ، ومرة قليل الشاي ، ومرة بارداً . . في محاولته تلك نجح في صناعة الرغوة ، وصب كؤوساً توقع أن تكون شهيّة ، وناول أمه واحدة منها ، وأراد أن يحمل واحدة لأبيه الذي كان في يسترخي في غرفة النوم ، لكنها استوقفته ، وقد تذوقت طعم الكأس التي في يدها ، فوجدتها مرة باردة ، فأخذت منه المواعين وتولت إعداد الشاي .

في المساء وَفَتْ أمه بوعدها وخرجت معه ، وأرادت أن تأخذ معها بشرى ، لكن بشرى لم تتحمس للخروج ، لقد أصبحت خائفة تفضل البقاء في البيت على الخروج . . كانت جولة ممتعة لخالد بعد أيام من حرمانه من دراجته ، فقد لقي فتاة مراهقة هناك على دراجتها ، وتبارى معها في عدة أشواط ، وزعم لبشرى بعد رجوعه أنه تغلب على تلك الفتاة ، لكن بشرى كعادتها كذبته ، وتلاسنا بسبب ذلك ، وفي جولته أيضاً استعرض بعض مهاراته البسيطة في ركوب الدراجة أمام شبان كانوا هناك ، فشجعوه

وصفقوا له ، لكن أمه لم تمهله طويلاً ، فقد قررت أن يرجعا بعد حوالي ثلاثين دقيقة من التجوال ، ومع ذلك فقد عاد منتشياً بتلك الخرجة ، وفي مساء الجمعة كررها ورافقه هذه المرة أبوه وبشرى أيضاً ، لكنهم لم يطيلوا ، فقد اشتروا الآيس كريم من محل المثلجات بالقصباء ورجعوا مباشرة ، لكنها على كل حال كانت رحلة استمتع فيها بمذاق نوع جديد من الآيس كريم الجيد . . في مساء يوم السبت فلم يخرج للتجوال بدراجته ، لأن أبويه خرجا عصراً لشراء المؤونة من «سوق الجبيل» ، وقد رافقهما خالد ، وطال خروجهم ، لأنهم ذهبوا إلى عجمان عند صاحب «ملحمة قرطبة» الباكستاني الذي يبيع لحم الإبل ، وكانت رحلة ممتعة له ، لأنه في سوق الجُبيل انتهز لحظات انتظار تنظيف السمك ، فذهب إلى الحمام ، ثم تجول في أرجاء السوق ، ومر بامرأة آسيوية في ساحة الاستعراضات في السوق ، وقد شغلت أغنية راقصة لابنها وبنتها وهما يرقصان عليها ، فوقف يراقبهما ، ثم دخل معهما منتشياً بالرقصة ، وصفقت له المرأة في نهاية الجولة ، ورفعت له إبهامها علامة على التشجيع ، فخرج مزهوّاً بنفسه .

ومن متع تلك الرحلة أيضاً أنهم عندما كانوا في عجمان عند صاحب المجزرة ، أقنع أباه أن يشتري لهم شيئا من كبدة الإبل وسنامها ، وكان أبوه أولاً قد اقتصر على لحم «فلكة» الظهر ، وكانوا

في المنزل مقيمين على عادة الموريتانيين في طبخ وجبة أطاجين «لحم الفلكة» اللذيذة ، وهي فِقار الظهر بلحمها وعظمها ، تقطع ثم تغلى في القدر ، وتترك من ربع ساعة إلى ثلثها حتى تنضج ، ولا يضاف إليها سوى البصل المفروم وقليل من الملح ، ولا يضاف إليها الماء ، لأن نسبة الماء عالية في لحم الإبل الطازج بما يكفي لإنضاجه إذا كان سيؤكل على شكل «أطاجين» وحده ، أما إذا كان يعد للإدام ويراد مرقه ، فيحتاج لإضافة الماء ولوقت أكثر لإنضاجه مع الخضروات .

ويؤكل أطاجين الفلكة بالخبز الفرنسي بشكل خاص ، والأطاجين وجبة خفيفة سريعة ، وقتُها المفضل هو الضحى من أيام العطل والإجازات للرجال خاصة ، ومن كل الأيام للنساء ربات البيوت العاطلات عن العمل وأبنائهن ، لأنه يكون بديلا عن وجبة الإفطار ، وكذلك يعد الأطاجين للضيوف الذين يزورون الأسرة ، أيا كان وقت النهار .

لم يرد الأب شراء الكبدة خوفا من شحم ذروة السنام الذي لا تَلَذّ الكبدة دونه ، حيث يعد منهما أطاجين «الكبدة والذُّروة» اللذيذ ، وكان خالد يحبها ، ويتذكر تلك الحفلات الصغيرة التي كان هو وابن خالته وأبناء عمّاته يقيمونها ، حين كانت إحدى أمهاتهم تتحفهم بتلك القطع الصغيرة الساخنة المقطعة بعناية

فائقة ، المنثورة بشكل فسيفسائي وسط الصحن . . مزيج من قطع الكبدة الرمادية وقطع السنام البيضاء ينز منها الدسم ، فيتسابقون إلى التقاطها بأصابعهم الغضة ، وكثيرا ما تحرق أصابعهم فيرمونها في حلوقهم فتحرقها ، فيبتلعونها بلا مضغ ، فتحرق مِعَدهم . . لكنهم رغم ذلك يستمتعون بذلك السباق ، فبعد انتهاء المعركة ، وزوال الحريق من البطن يقفون في حلقة يعدد كل منهم بطولاته في السباق ، وكم قطعة فاز بها . . لا يزال يتذكر لسعة الحرارة في فمه حين جمع في يده قطعا كثيرة من الصحن ، ودفعها في فمه مرة واحدة ، وأرجع يده في الصحن ليأخذا أخرى ، بينما أحس بالحريق في فمه ، فخشي من أن يهلك إن هو ابتلع تلك النار المتأججة دفعة واحدة ، فتح يده ، وأفرغ فيها ما في فمه ، وأخذ يأكله واحدة واحدة ، وحاول ابن عمته أن ينتزع منه بعضه ، لكنه تخلص منه وهرب خارجا من المنزل .

احتج خالد على أبيه ، قائلاً :

– إذا كنت تخاف من شحمة السنام فلا تأكلْها ، أما نحن فنحبها ونستلذ بطعم الكبدة المُجَمّرة في شحم السنام .

فضحك والده ، واشتراها له . .

الأسبوع الثاني

كان يوم الأحد ٢٢ مارس ، وكانت كل بوادره تقول إنه سيكون كئيبا على خالد ، لكنه ويا للعجب ، لم يكن كذلك . .

لقد كان بجانب أمه الليلة البارحة عندما سمعها تتحسر وتقول : «لا حول ولا قوة إلا بالله»! فانتبه فإذا هي تتابع في قناة الشارقة إعلاناً من وزارة الداخلية والهيئة الوطنية للطوارئ والأزمات في الإمارات ، بأنه «ابتداء من يوم غد الاثنين سوف تغلق المراكز التجارية ومراكز التسوق والأسواق المفتوحة كافة ، في خطوة احترازية جديدة ضمن جهود احتواء تفشّي فيروس كورونا» ، ودعا الإعلان «المواطنين والمقيمين والزائرين الموجودين على أراضي الإمارات إلى عدم الخروج من المنازل إلا للضرورة أو لدواعي العمل ولغرض شراء الحاجات الأساسية من الدواء والغذاء ، وأن يكون التجوال الخاص بالسيارات الشخصية للعائلة من البيت الواحد ، ولثلاثة أشخاص كحد أقصى في كل سيارة دون النزول للأماكن العامة ، مع الحفاظ على مسافات آمنة عند الاختلاط العائلي

والالتزام بكمامة الوجه والإرشادات الصحية ، ومراعاة التباعد الاجتماعي» .

شرحت له أمه تفاصيل القرار ، وأنه لم يعد بالإمكان النزول للّعب أو شراء أي شيء من البقالة ، وسوف يَلزمون البيت بشكل دائم .

عندما استيقظ أيضا صباح ذلك اليوم فوجئ بأبيه جالساً في الصالة ، وبين يديه «جهازه المحمول» ، وقد استغرب وجوده في ذلك الوقت ، واليوم يوم دوام ، فبادره :

- بابا ، لما لا تذهب إلى العمل . . هل أنت في إجازة؟

- لا . . أنا أعمل الآن . . لقد بدأنا العمل من البيت .

- كيف؟!

- يا بني ، بسبب (كوفيد ١٩) ، هذا الوباء اللعين ، كل شيء توقف ، لا أحد الآن يخرج من منزله ، وابتداء من اليوم لن يستطيع أي منا أن يتعدى الباب ، هذا المرض خطير وقاتل ، وبمجرد أن تقترب من أحد مصاب أو تلمس مكاناً كان فيه مصاب ، فسوف تنتقل إليك العدوى .

- آه . . وإلى متى؟ . . كيف سنحصل على الطعام؟

- عندنا والحمد لله ما يكفي الآن ، وإذا احتجنا إلى شيء فسوف نتدبره .

- ومتى ستعود إلى دوامك؟

- لست أدري ، الله وحده هو الذي يعلم متى سينتهي هذا الوباء . . ليس لدينا إلا أن نلتزم بالتعليمات الصحية وندعو الله أن يرفع هذا البلاء من الأرض .

- يا رب ارفع عنا البلاء . . معناه أنني لن أخرج بدراجتي ، ولن ألعب بالكرة في الساحة الخلفية للعمارة؟!

- لن تستطيع ذلك ، ولن يستطيعه أي من أصدقائك ، قبل أن تنفرج هذه الغمة .

كان ينبغي لكل تلك التطورات أن تبعث الكآبة والألم في نفسه ، لكنه على العكس من ذلك كان متحمساً ومتلهفاً لما هو مقبل عليه ، فاليوم هو اليوم الذي وعدتهم فيه إدارة المدرسة ببداية دروس «التعليم عن بعد» بعد انتهاء مدة إجازة الربيع التي استطالت أسبوعين بسبب ظروف الفيروس ، وبسبب ظروف التحضير لعملية التدريس عن بعد ، وكانت المدرسة قد بعثت له قبل يومين رسالة نصية تتضمن اسم الدخول وكلمة المرور الخاصين به ، للذين سوف يستخدمهما للدخول إلى المواقع والقنوات التعليمية خلال مدة «التعليم عن بعد» .

كان الوقت في حدود الثامنة والنصف صباحاً ، وكان موعد الدروس التاسعة ، فذهب ليوقظ أمه لتعدَّ له إفطاره وتشهد معه

بداية الدروس ، لكن أباه ناداه ، وطلب منه أن يتركها ، وذهب بنفسه ليعد له إفطاره ، لكنه خيب أمله عندما جاءه بالحليب والخبز والعسل والقشطة ، فقد كان يريد «الأومليت» ، وقالها له صراحةً ، فرد عليه أبوه :

– اليوم لن تأكل «الأومليت» . . خذ قطعة من الخبز مع الحليب ، وعندما تستيقظ أمك سوف تعد لك وجبة «الكبدة والذروة» .

صفق خالد مبتهجاً بذلك ، وقال لأبيه :

– صحيح . . كنت ناسياً ، اليوم سوف نأكل «الكبدة والذروة» .

ارتشف رشفات من الحليب ، وأخذ قطعة من الخبز بالقشطة والعسل ، وكان قد جلب معه جهازه اللوحي والسماعة ، واستخرج أبوه من هاتفه الرسالة التي بعثت بها المدرسة ، وكتب له بالقلم في دفتره اسم الدخول وكلمة المرور ، وساعده حتى دخل على موقع الوزارة ، ودخل برنامج «ميكروسوفت تيمز» ، وعندما حان وقت الحصة الأولى من برنامج التعليم ، كان خالد جاهزاً للانخراط فيها ، وتتابعت الحصص ، لكن اليوم الأول كان مشوشاً ، بسبب الارتباك الذي وقع فيه الطلاب والمدرسون على حد سواء ، فبعض الطلاب لم يعرف كيف يدخل على الموقع ،

وهكذا ذهبت الحصص في محاولات المدرسين إرشاد الطلاب وأولياء أمورهم لكيفية التواصل معهم .

تابع خالد الحصص بفرح ، ووجدها فرصة للتواصل مع أصدقائه في المدرسة الذين مر أكثر من نصف شهر وهو لم يقابلهم ، وكانت سعادته عارمة بذلك ، فعندما تحدث معهم اكتشف أن ما يعانيه من الحجر هو نفسه ما يعانيه أصدقاؤه ، فهو ليس وحده في الأزمة .

في الأيام الموالية استمرّت المشاكل التي ظهرت في اليوم الأول ، وظهرت مشاكل جديدة ، بسبب عدم تحكم بعض المدرسين في نظام سير الحصة ، مما سمح لبعض الطلاب بالتحكم فيها ، فظهرت مشاكلُ كثيرة ؛ كالتشويش والإزعاج وإخراج الطلاب بعضهم بعضاً من الحصة ، وفي أحيان أخرى إخراج المدرس نفسه من الحصة .

هكذا مر على خالد الأسبوع الأول من الدراسة عن بعد وهو منشغل بذلك الجو الجديد ، ومنهمك مع زملائه الطلاب بين متابعة الدرس والحوارات الجانبية والنِّكات والانقطاع المتكرر للاتصال مع المدرسين ، ما جعله في غالب الأوقات ينسى أمر الخروج ، لكنّ نهاية الأسبوع حملت أخباراً غير سارة له ؛ فقد كان يعتزم أن يطلب من أمه أن تقوم معه بجولة ولو قصيرة حول العمارة

يركب فيها دراجته ، لكن الخبر جاء صاعقاً له ، فقد «قررت الحكومة بدء البرنامج الوطني للتعقيم ، ابتداءً من مساء الخميس ٢٦ مارس ولمدة أسبوع قابل للتجديد» ، وصدر قرار بمنع التجوال ابتداء من الساعة الثامنة مساء ، وحتى السادسة صباحاً .

ضاع أمله في الخروج ، وسوف يقضي إجازة أسبوع كئيبة بين أوامر أبيه ونواهيه ، ومشاكسات بشرى المملة .

الأسبوع الثالث

مع بداية الأسبوع الثاني من «التعليم عن بعد» كان خالد لا يزال يجد فيه تسلية تخفف من الفراغ الذي أحدثته تلك الإجراءات ، خصوصاً وأن بعض المدرسين لم يقدموا دروساً في الأسبوع الأول بسبب المشاكل التقنية ، وهو متشوق للتعاطي معهم عن بعد ، ليس لأنه مجتهد ومواظب على الدروس ، بل لأن هذه طريقةٌ جديدةٌ في التعاطي مع المدرسين والطلاب لم يعهدها ، وقد أقبل في بداية ذلك الأسبوع بحماسة ، وقد غيرت المدرسة موعد الدروس فأصبحت تقدم ابتداء من الثانية ظهرا ، ما سمح له بفترة صباحية أطول للنوم ، فكان يستيقظ في حدود العاشرة ويجد أباه مستيقظاً يعمل على جهازه ، فيبادر خالد إلى إعداد الإفطار الصباحي له ولأبيه ، وفي بعض المرات سمح له أبوه بشرب كوب صغير من الشاي الأحمر الخفيف بعد إضافة الحليب إليه ، ولم يكن في كل مرة يسمح له بشربه ، فهم يخافون عليه من إدمان الشاي في تلك السن المبكرة ، ورغم ذلك فأحياناً يعد لنفسه كوباً

منه على مرأى من أبويه ، من دون أن يمنعاه ، ولكنّ ذلك يكون في فصل الشتاء فقط ، من أجل أن ينتعش جسمه وتزيد مقاومته للبرد .

كان مما طرد الكآبة عن خالد ، وجعله أكثر بهجة في ذلك الأسبوع ، أن أباه اخترع في مساء ذلك اليوم الذي أعلن فيه حظر التجوال لعبةً جديدةً ، عبارة عن سباق عليه جائزة بعشرة دراهم . . فقد فرغ وسط الصالة من الفراش ، حتى أصبح الطريق سالكاً من النافذة إلى الباب ، وخط بطبشور ملون خطَّ نهايةٍ أمام الباب ، وجاء بشرائط من القماش ، فأخذ واحدة وأعطى لبشرى واحدة ولخالد واحدة ، وطلب منهما أن يجمع كل واحد منهما قدميه ويقيد نفسه بالشريط ، وفعل مثلهما ، ووقفوا ثلاثتهم عند النافذة ، وكانت الأم هي الحكم ، وكانت قوانين اللعبة تقضي بأن يبدأوا بالقفز عندما يعلن الأب الإشارة ، وأول من يصل منهم إلى النهاية يفوز ، ثم يكررونها خمس مرات ، ومن فاز بأكثرها من غير غش يأخذ الجائزة . . في المرة الأولى جرت الأمور على ما يرام وسبقتهم بشرى ، وسقط خالد في الطريق وتأخر الأب عنهما ، وفي الثانية ، احتال خالد ، ففك رباط الشريط وسبقهم ، لكن بشرى احتجت فلم يحسب له ذلك الفوز ، وبعد خمسة أشواط من التعثر والضحك فازت بشرى بثلاثة أشواط ، وفاز خالد بواحد ، وألغي له

الفوز الثاني ، فذهبت الجائزة إلى بشرى ، وغضب خالد لأنه لم يفز ، لكن أباه وعده بأن يعيدوها من الغد في الوقت نفسه فرضي ، وفي اليوم الموالي عندما أعادوها وجدوا أن الشرائط التي تقيد الرجلين تسبب التعثر والسقوط فاستبدلوا بها قنانيَ ماء فارغةً يضعها كل واحد منهم بين ركبتيه ويضمهما عليها ويحرص أن لا تسقط أثناء القفز ، فإذا سقطت يخسر الشوط ، وفازت بشرى مرة ثانية ، لكن الأب تحايل عليها في اليوم الثالث حتى جعل خالدا يفوز حتى لا يصاب بالإحباط ، وهكذا جعل اللعبة تتواصل بحماسة .

في بعض المرات كان الأب يستبدل باللعبة الأحاجيَ ، أو يلعب مع خالد الكرة بالرأس فقط ، كما لعبوا عدة مرات الغمّيضة زحفاً ، فكان اللاعب منهم يثني كل واحدة من رجليه بشريط ويظل يزحف وهو جالس معتمداً على رجليه المكبلتين وحدهما ، دون يديه ، ويجلسون في حلقة ، وفي الوسط اللاعب السجين ، مكبل الرجلين بالطريقة نفسها ومعصوب العينين ، وهو يتحرك بحثا عن اللاعبين ، ومن لمسته يده يسجن بدلا منه ، ودخلت معهم الأم في اللعبة ، وكان خالد حين لا يكون هو السجين ، يعتمد على يديه خلسة ليغير مكانه حتى لا يلمسه اللاعب السجين .

الأسبوع الرابع

مع دخول الأسبوع الثالث من «الدراسة عن بعد» ، بدأت حماسة خالد للدراسة تخف ، وأصبحت الألعاب والتسلية التي يمارسونها في المنزل مع الأب مكررة ومملة ، وبدأ يفكر في طريقة للخروج . لكنْ ، من أين له ذلك والخروج ممنوع ، وكل شيء مغلق؟ . . في تلك الأثناء انتابه صداع مع خمول لازمه من الصباح إلى الرواح ، حتى إنه في ذلك اليوم لم يستطع أن يتابع حصص التعليم عن بعد ، وجلب له أبوه دواء من الصيدلية المجاورة لهم ، وعاد إليه الصداع من اليوم الموالي ، فرأت أمه أن سبب الصداع يمكن أن يكون من فقدان فيتامين «د» ، فقررت أن تعرضه أولا لأشعة الشمس ، كي ترى ماذا ستكون نتيجة ذلك . . كان الوقت في حدود العاشرة ، أمرته أن يتهيأ للنزول ، وأعطته كمامة ، ففرح بتلك المفاجأة ، وأنه سوف ينزل أخيراً . . وجدها فرصة لاصطحاب درّاجته ، أراد أبوه أن يمنعه من ذلك ، لأن التعليمات واضحة في منع الأطفال من الخروج ، ويخشى أنه إذا نزل بالدراجة فسوف يحتاج إلى الشارع ورصيفه ، وقد يلفت انتباه

الشرطة إليه ، أما إذا نزل من دونها وتجول مع أمه حول العمارة فلن يلفت الانتباه .

سبقها إلى المصعد . . ضغط على الزر بمرفقه ، كما تقتضي ذلك التعليمات التي حفظها جيداً من كثرة ما شاهدها في التلفزيون ، ومن كثرة ما أوصته بها أمه . . انفتح المصعد ، فدخل وأسند الدراجة على حافته ، وبدأ يتأمل وجهه في مرآة المصعد . . حرك بأصابعه الكمامة لكي تغطي أنفه تماماً ، ومد رقبته إلى الأعلى ، وضرب تحية عسكرية ، محيياً بها نفسه المزهوة الآن بهذا الخروج أخيرا من السجن .

في الأسفل . . حيّا ناطور العمارة الجالس على مكتب الاستقبال بإشارة من يده ، وقال له :

- السلام عليكم ، يا صديقي .

رد عليه الناطور بحبور قائلاً :

- خالد . . كيف حالك ، أين أنت؟

ابتسم له ، وأشار إلى الأعلى :

- أنا في السجن فوق ، أبي لا يريدني أن أنزل ويقول إن كرونا خطير على الأطفال ، وإن الشرطة تمسك الأطفال المتسكعين في الطرقات .

- صحيح يا بُنيّ . . أبوك معه حق ، لا تكثر الخروج في هذه الظروف .

- هل لا يزال الأطفال ينزلون؟ . .

- لا . . لا ، الأطفال في المنازل ، لا يستطيعون النزول .

- حقا . . يبدو أنهم يخافون كثيراً .

- نعم . . أنت أيضا ينبغي أن تخاف ، وأن لا تنزل في هذه الظروف .

- أمي معي .

أشار إلى المصعد ، وأضاف : سوف تنزل الآن .

ركب دراجته ، وانطلق خارجاً . . كان متوجساً من الابتعاد عن العمارة ، لذلك توقف عند ركنها الشمالي الشرقي ، وانتظر حتى ظهرت أمه عند بوابة العمارة ، فأشار لها بيده . . ثم ولاها ظهره ، والتف في اتجاه الجنوب ، فنادته فلم يجبها . . استدار من خلف العمارة ، فتلقفه هواء معتدل رغم أن الشمس كانت ظاهرة ، أسرع ليكمل دورته بالعمارة حتى يدرك أمه قبل أن تغضب منه . . وجدها خلف العمارة تتلفت أمامها وخلفها بحثا عنه ، فلما رأته سألته قلقة :

- لماذا نزلت قبلي ، لا ينبغي أن تبتعد عني .

دخلت به في الساحة الفارغة ، وتجاوزا صفوفاً من السيارات المتوقفة هناك ، ولما وصلا إلى الجزء الفارغ من الساحة ، أسرع خالد بدراجته فيه ، فقالت له :

- لا تنزل إلى الشارع . . لا بد أن الشرطة قريبة ، وقد يفاجئونك فيمسكون بك . .

- لن أنزل إليه .

ابتعد ، كانت الساحة ممهدة بعض الشيء ، فاستطاع أن يزيد من سرعته ، لكنه في بعض الأحيان كان يصطدم بالحجارة والحفر مما يصعب عليه الإسراع ، حتى إنه سقط في إحدى تلك الحفر ، ثم قام ، وحين وصل إلى حافة الشارع المار من أمام القصباء ، عدل الدراجة فوق الرصيف وأسرع بها ، وكانت أمه تراقبه قلقة من دون أن تتكلم ، استدار إلى اليمين راجعا مع الرصيف حتى صفوف السيارات ، ثم قفل راجعاً مع الرصيف وتجاوز النقطة التي انطلق منها متجهاً شرقاً حتى وصل إلى المنعرج ، فنادته كي يرجع ، فدار دورة أخرى ، وهي واقفة تنظر إليه ، فلما أكمل دورته ، عرفت أنه لن يأتي قبل أن تمسك به ، فاعترضته وأمسكت بالدراجة ، فترجل عنها ، وقادها بجانبها . . قال لها :

- ما زال في الوقت متسع . . دعيني أتجول بالدراجة قليلاً .

- أنت مصاب بالصداع ، والشمس حارة ، سوف تضرك إن بقيت تحتها أكثر من ذلك .

- لقد ذهب عني الصداع ، وأستطيع الآن أن أقوم بعدة دورات من دون أن أشعر بألم .

- حقا . . لم تعد تجد ألماً؟ .

- لا . . انتهى الآن . . هيا ، ضعي يدك على جبيني ، لتعرفي ذلك بنفسك .

جست بأصابعها جبينه ، كان عرقان ولم يتسن لها تحديد ما إذا كانت لديه حرارة . . قالت :

- الحمد لله ، لكن الشمس خطيرة . . وهذا يكفي اليوم ، لأن الشرطة يمكن أن تمر في أي وقت فتراك وتمسك بنا .

وصلا إلى العمارة ، فاستأذنها في أن يقوم بدورة حولها ، فأذنت له ، فدار دورتين ، وأوقفته في الثالثة عند باب العمارة ، وساقته أمامها حتى أدخلته المصعد .

عندما دخل المنزل سأله أبوه عن حاله ، فأجابه أنه بخير وأن ألم الرأس قد اختفى ، وقال مازحاً :

- ينبغي أن أنزل كل يوم ، في هذا الوقت ، فذلك سيجنبني ألم الرأس . .

ضحك أبوه وقال :

- يا محتال . . لقد كان نزولك اليوم مخالفا للقانون ، وعليك أن تحمد الله أن الشرطة لم تمر بك ، وإلا كانوا أمسكوا بك ، وبأمك التي تركتك تخرج .

قالت أمه منزعجة من تعليق الأب :

- تفاءل لنا بالخير يا رجل!

قال خالد :

- الشرطة! . . لو أنهم مروا بي لأديت لهم التحية العسكرية ، وعندما يرونها يتركونني وشأني .

وقف في مكانه وضرب تحية عسكرية منضبطة ، وقال لأبيه :

- هكذا .

- هذه تحية جميلة ، إذا رأوك فسوف يعفون عنك .

في اليوم الثاني تحسنت حالته وكان إحساسه بالصداع بسيطاً ومتقطعاً ، فنزلت به أمه ، ولكنها هذه المرة منعته من أن يخرج بدراجته ، فقد شعرت أنها بالأمس ارتكبت غلطة كان يمكن أن تعرضها للمساءلة القانونية ، حيث تركته يتجول خارج البيت بدراجته ، لذلك قررت أن تظل ممسكة بيده ، وأن تتجول به بمحاذاة العمارة ، وألبسته كمامة وقفازات ، وقضيا هنالك قريبا من ١٥ دقيقة ، ورغم أنها لم تكن الجولة التي أرادها خالد ، إلا أنها على كل حال أعطته بهجة من نوع ما ، فقد أحس أنه خرج من المنزل واستطاع أن ينزل ويتجول قليلاً ولو تحت حراسة مشددة من أمه ، ومر من أمام البقالة وحيّا البائعين الذين ردوا عليه بحماسة وسألوه عن صحته ، وكذلك لقي بعض الوجوه من سكان العمارة التي تعود عليها وحيّا أصحابها ، وتحدث مع الناطور حول الوضع وخروج

الناس ، وكان مهتما بأن يعرف ما إذا كان الأطفال يخرجون أم لا ، فأكد له الناطور أن لا أحد منهم يخرج من منزل أهله ، فاطمأن خالد إلى أنه ليس الوحيد المسجون في المنزل ، وأن الآخرين ليسوا أحسن حالاً منه ، بل فكر في أنه قد يكون أحسن حالاً منهم ، فهو على الأقل خرج يومين متتاليين .

أصبح في اليوم الثالث معافىً ، قد ذهب عنه ألم الرأس بعد تلك الأدوية وبعد الخروج للشمس ليومين ، لكنّ الكآبة عاودته ، فقد عرف أنه لن يجد فرصة للخروج بعدُ ، وأنه حتى ولو خرج فلن يستطيع اللعب . . لم يتحمس لدرس القرآن الذي تقدمه المدرسة ، وكان مقرراً عند الساعة التاسعة صباحاً ، فتناوم حتى فاتته الحصة ، وأراد أن يتشاغل عن حصص المواد الأخرى لما حان موعدها عند الساعة الثانية ، لكنّ أباه نبهه وحثه على الدخول إلى الدرس ، فدخل وظل غير متابع ، وكان من عادة أمه أن تدخل عليه بين الفينة والأخرى لتتأكد من أنه يتابع الدروس ويشارك فيها بفاعليه ، فكان ينشط في المتابعة حين تدخل عليه الغرفة ، وحين تخرج يتحول إلى صفحات الألعاب ، أو يضع الجهاز اللوحي جانباً وينشغل بالمماحكة أو اللعب مع بشرى . . هكذا حتى ذهب وقت الحصص .

عند عصر ذلك اليوم أخذه أبوه هو وبشرى في جولة إلى

داخل الشارقة ، وسلك بهما طريق المطار ، وخرج مع طريق الذيد ، هناك شاهدا الرمال والأشجار والطبيعة التي تعوّدا عليها في موريتانيا ، وكانت قد مرت أشهر عديدة ولم يرياها ، فتذكرا أجواء البادية على طريق نواكشوط روصو ، عندما كانت عائلتهم تخرج في فصل الأمطار ، لتنعم بالهواء البارد والخضرة اليانعة . . كانت أياما لا تنسى لكليهما ، ولخالد بشكل خاص ، يترقبها كل سنة منذ كان عمره خمس سنوات تقريبا . . الأرض الواسعة المنبسطة ، ينطلق هو وأبناء عمّاته ضحىً بعدما يعودون من درس «اللوح» الصباحي عند «المرابط» الذي يحفظهم القرآن ، يحملون الكرة والعِصِيَّ وقناني الماء للشرب ، ويذهبون لاستكشاف الأماكن من حولهم ، وبحثا عن برك المياه التي تخلفها الأمطار ، وهناك يسبحون طويلا ويلعبون الكرة ، وقد يصطادون الحمام ، وبعض الفتيان الأكبر سنا وجُرأةً يقتفون أثر الحيات ، ويهتكون بعصيِّهم غِيرانها ، وقد يتمكنون منها فيقتلونها ، لكنهم حين يصادفونها خارج الغار يهربون ، وكان خالد يرتجف من ذكر الحيات ويقف بعيدا ، ويقشعر جسده ، ويظل يتفقد قدميه ، ويراقب المكان الذي يطأ بهما عليه ، ويقفز صارخا إذا لامست قدمُه نبتة صغيرة ، وحين يراهم يخرجون الحية ميتة يهرب في اتجاه المنزل ، لكنّ ذلك لا يمنعه من مرافقتهم من الغد ، وخوض مغامرة جديدة صحبتهم .

وفي المساء كانوا يأخذون مزالق معدة من أنصاف الجركانات ، للتزلق على الكثبان التي ضربها المطر فأصبحت متماسكة يسهل الانزلاق عليها ، فكانوا يجلسون في تلك المزالق على قمة الكثيب ، وينطلقون في سباق منزلقين نحو الأسفل ، وحين يشبعون من ذلك يتراشقون بكرات الثرى ، وقد يتشاجر اثنان منهم ، فيعمد أحدهما إلى رمي التراب في عيني الآخر ، أو وضعه في فمه ، لكي يهزمه بسرعة . . ويظلون على تلك الحال حتى تغرب الشمس ، فيرجعون إلى أهليهم .

توقف بهما أبوهما على مشارف مدينة الذيد ، ونزلوا جميعا هناك . . تخلصوا من أحذيتهم عندما بدأت أقدامهم تلامس الرمل الدافئ ، فلا شي يريح المشاعر أكثر من حبات الرمل الناعمة وهي تدغدغ بطن القدم عندما يطأ عليها الإنسان ، فتغوص قدمه بسهولة في تلك النعومة . . ملمس حريري يعرفونه جيدا ، هناك في موريتانيا ، عندما كانوا يخرجون إلى البادية في فصل الأمطار ، حيث الخضرة اليانعة والرمال الذهبية الناعمة ، وربما اشتاقت إليه أقدامهم ، كما اشتاقت أجسامهم إلى ذلك الاستلقاء على الرمل من دون فراش ، وقد بادر الأب إلى الاستلقاء غير مكترث لما يمكن أن يعلق بثيابه من الرمل ، وفعلت بشرى بدورها مثله ، وهي تتذكر عندما كانت تجلس مع بنات خالتها على الكثيب القريب من

المنازل ، يصنعن من الثرى البليل تماثيل لحيوانات وأشخاص ، وينسجن حولها قصصا صغيرة ، ترويها بعضهن لبعض ، أما خالد فلم يفوت فرصة الجري فوق الرمل ، والاستقلاب والقفز ، حتى أنه عندما وصل قمة الكثيب ألقى بجسمه مع على بطن الكثيب لينزلق إلى الأسفل ، لكنه لم يذهب بعيدا إلى الأسفل لأن الرمل لم يكن مبللا ، مما جعل جسمه يغوص فيه ولا يتحرك . . انتزع جسمه وعاد إلى رأس الكثيب ، وبدأ عمليات استقلاب متتالية حتى وصل إلى أسفل الكثيب ، ثم أعاد الكرة من جديد ، وبعد عدة أشواط عاد إلى السيارة ، والتقط كرته ، وصعد بها على الكثيب ، ورماها في اتجاه أبيه ، الذي كان لا يزال مستلقيا ، فتلقفها ، وقام واقفا ، ثم أعادها إلى خالد ، وبدأ في اللعب ، ودخلت معهما بشرى .

بعد مدة ، توقفوا عن اللعب وتجولوا على الكثبان المجاورة ، ليستكشفوا المكان ، ثم قفلوا راجعين قبيل موعد حظر التجوال بقليل ، وكانت رحلة منعشة ، تحدث خالد عنها لأمه بحبور في تلك الليلة ، وحدث بها خالته وجدته عندما اتصلت بهما أمه ليلا ، وطلب منهما أن لا تذهب العائلة إلى البادية في الصيف قبل أن يأتيهم ، ووعدهما أنه سوف يذهب إليهم قريبا .

ختم خالد ذلك الأسبوع بخروج آخر ، حيث صحب أبويه في

رحلة إلى عجمان لشراء لحم الإبل والقيام بجولة في السيارة على الكورنيش ، ولم تستطع بشرى أن ترافقهم ، لأن التعليمات المتعلقة بالإجراءات الاحترازية كانت تقضي بأن لا يتجاوز عدد الركاب ثلاثة أشخاص ، ورغم أنه لم ينزل من السيارة أثناء تلك الرحلة ، فإنه تمتع بالتنقل بين الشارقة وعجمان ، وبلقاء ذلك الجزار الباكستاني المرح الذي يبيع لهم لحم الإبل ، ويعرف الكثير من الموريتانيين الذين هم أغلب زبنائه ، حتى إنه أصبح يتخاطب معهم بجمل من الحسانية ، ويعرف تفاصيل ما يحبه الموريتانيون من لحم الإبل (الفلكة ، والكتف ، والكبدة والذروة) ، وكان كلما رأى خالدا يقبل عليه مبتسما ، ويقول له : «اشحالك خالد؟ إياك لا باس عليك ، إياك ما يوجعك شي؟ اشحال أهلك كاملين»؟ ودائماً ما يهديه هدية خاصة من كبدة الإبل وذروة السنام .

وشملت رحلتهم ذلك المساء جولة ممتعة بالسيارة على طول كورنيشي عجمان والشارقة .

في عصر الجمعة من ذلك الأسبوع كانت الأم منهمكة في اتصالها الأسبوعي المكثف مع الأهل ، والطرف الآخر من المكالمة كانت أختها في موريتانيا ، وتصادف أن منزل أختها كان يتجمع فيه عدد أطفال الحي منهم ابن خالة خالد وأبناء عماته وأصدقاؤه ، فاستدعت الأم خالداً ليتحدث معهم . . كانت فرحة

عارمة وضحكاً وضجة محببة ، لكن الأمور تغيرت عندما سأله ابن خالته ، قائلاً :

- كيف تقضي وقتك؟

أجاب :

- أنا مسجون في البيت ، لا أخرج ولا ألعب . . أنا أختنق ، وسأموت من هذا الكبت! .

فعلق ابن عمته :

- مسكين أنت . . ولا تلقى أصدقاءك؟!

أجاب :

- لا ألتقي بأحد . . حتى الدكان لا أستطيع أن أنزل إليه لأشتري ما أريده . .

قال صديقه :

- هذه ليست حياة ، أنت مقبور ، يرحمك الله!!

ضحكوا جميعاً ، لكن خالداً أصابه الحنق من ذلك ، وزاده أن ابن عمته قال له :

- أما نحن فنخرج إلى حيث نشاء ، ونلعب الكرة . .

سألهم باهتمام :

- والله؟ . . تخرجون كيف شئتم! .

قال صديق آخر :

- ونلعب الغميضة ، ونقوم بـ«لنقيه» فنتعلق بالسيارات المارة . . منذ قليل تعلق عبد الله بسيارة ، فأوقفها صاحبها ، وطارده حتى أمسك به . . فطار عقل عبد الله ، وصار يصيح : «ياي . . ياي . . يا أمي أنقذيني!!» . حتى رقّ له الرجل فتركه .

ضحكوا فقال عبد الله :

- كذبت ، لقد طاردني لكنه لم يستطع أن يلحق بي .

سألهم خالد :

- قلتم لي إنكم تخرجون وتلعبون ، وأين كورونا؟ . . أين الشرطة ، وكيف يتركونكم تخرجون؟

قال ابن خالته :

- لا يوجد عندنا كورونا ، والشرطة لا تأتي لحينا . . نحن أحرار .

قال أحد أصدقائه :

- ولدينا الحمَام نربيه على السطوح . . أنا لدي اثنتان ، ومحمد لديه أربع ، والحسين لديه . .

- وتربون الحمام أيضاً؟ . . يا سعدكم ، يا فرحتكم!

قال ابن عمته :

- وأكثر من ذلك . . ما زلنا نؤجر الدراجات من «سيسه» الميكانيكي ، لا شك أنك تتذكره جيداً ، ونتسابق بها فوق الشارع . . لا نخشى السيارات .

عند ذلك الحد توقف خالد عن الحوار معهم . . لم يستطع أن ينبس بكلمة ، ودفع التلفون إلى أمه من غير أن يودعهم أو يقطع الاتصال . . دخل إلى غرفته وأغلق الباب عليه . . تداعت الصور إلى ذهنه . . مغامرة السباق الشيقة على الدراجات ، وسط ذلك الشارع الضيق الذي لا تنقطع حركة السيارات عليه في الاتجاهين . . الالتفاف والخروج من بين سيارتين ، وصيحات السائقين وتوعدهم ، والوصول قبل المنافسين من الأطفال . . الهروب من أمام سائق غاضب أو من أمام سيارة الشرطة ، والدخول في أزقة الحي ، ومنافسات الكرة مع الفرق الأخرى . . الغزوات التي يقومون بها إلى الأحياء الأخرى ، عندما يعتدي أحد أبناء تلك الأحياء على أحدهم ، فيكْمُنون له في الطرقات حتى يتمكنوا منه ، فيوسعونه ضربا ، هو ومن معه . . تسلق الحيطان ، والتجول فوق أسطح المنازل والعبث بما يوجد فوقها من متاع ، ولعب الكرة فوقها إذا كانت أسقفها إسمنتية ، وطقطقة سقوف الزنك تحت الأقدام ، غضب ربات البيوت ، ومطاردتهن لهم . . لعبة الغميضة والمقلاع وصيد الحَمام . . دكّان سيدينا والسباقات في شرب قناني الكوكوكولا . .

أين هو الآن من كل ذلك؟!! تكاد كبده تتقطع من الألم . . تأمل الكون الساكن أمام عينه . . القصباء راكدة . . كل شيء فيها

متوقف ، أنوارها التي تنار في مثل ذلك الوقت لم تعد تنار ، ومنطقة الألعاب باهتة ميتة . . كانت نافذة الغرفة مفتوحة ، وخيل إليه أنه يسمع صوت أنين تلك الألعاب وهي تبكي من الكآبة التي أصابتها بسبب فقدانها ضجيج الأطفال وبهجتهم وحركاتهم الطائشة . . على طريق الخان ، حركة السيارات ضئيلة ، يمكنه أن يعد على أصابعه السيارات المتوقفة عند إشارات التقاطع ، ذلك التقاطع الذي كان يبهره في مثل هذا الوقت عندما يرى السلسلتين الطويلتين الممتدتين في جهتي التقاطع ، فتملآن ما بين الجسرين وتتجاوزانهما ، في امتداد لا ينتهي . . كم هو كئيب وخانق هذا الجو!!

خنقته غصة حتى سعل . . أخذ نفساً عميقاً ثم التفت إلى دولابه ، وخطرت له فكرة . . جلب كرسيّاً وصعد عليه وأنزل حقيبة سفره ، ووضعها على السرير ، ثم أخذ يرتب أثوابه فيها بعناية صامتاً ، حتى امتلأت فأغلقها ، وأنزلها أرضاً ، ثم تناول جواربه ، وجلس على حافة السرير ، ولبسهما ولبس خفيه ، ثم قام وأمسك بمقبض جرار الحقيبة ، وسحبه إلى الأعلى ، وفتح باب الغرفة ، وخرج . . اتجه إلى أبيه في الصالة ، ووقف أمامه ، والحقيبة تنجر وراءه ، وقال له :

- أبي أريد الذهاب إلى موريتانيا حالاً . .

رفع بصره إليه وتأمله ، كان شاحب الوجه ، على جبينه حبات عرق ، لكنّ الإصرار يشع من عينيه ، قال له :

– الآن في هذا الوقت ، كيف؟!

– لا أعرف ، عليك أن تدبر لي تذكرة ، لقد فتحوا المطار وهناك رحلات سوف تنطلق اليوم .

– المطار لم يفتح ، والرحلات التي ستنطلق هي رحلات إلى وجهات محددة ، فهناك مسافرون جاءت عليهم الأزمة وهم في مطارات الإمارات ، وأغلقت مطارات دولهم ، فانقطعت بهم السبل داخل المطار ، هؤلاء المسافرون هم الذين قررت الدولة أن ترحلهم إلى أهليهم ، ومعهم بعض المقيمين في الدولة الراغبون في الذهاب إلى بلدانهم .

– معناه أنه يحق لي أن أسافر ، فأنا من الراغبين في الذهاب إلى بلدانهم .

– لكن إلى أين ستذهب؟ موريتانيا مغلقة أمام الطيران ، ولا أحد يدخلها .

– لا أعرف ، عليك أن تتصرف فلم أعد أطيق البقاء هنا . . كل الأطفال هناك في حينا يلعبون ويمرحون . . محمد والمختار وعبد الله وحسين والمرابط وموسى . . جميعهم يلعبون كل أنواع اللعب ، وأنا هنا سجين . . لن أبقى هنا بعد اليوم .

كانت بشرى قد سمعت صوت عجلات الحقيبة فخرجت لترى ماذا يجري ، فوجدته يتحدث إلى أبيه ، ويصر على أن يسافر إلى موريتانيا ، فنادت أمها مستنجدةً :

- أمي ، الحقيني . . خالد يحمل حقيبته ، وقد قرر أن يسافر إلى موريتانيا .

ترقرقت عينا أبيه ، وهو يتأمله في تلك الحال المؤلمة ، ولا يعرف بماذا يجيبه . . لا يدرك خالد ماذا يعنيه إغلاق المطارات ولا إغلاق الدول ، وليس في ذهنه سوى أن إخوته وأصدقاءه ينعمون هناك بالحرية في الخروج واللعب كما يشاؤون ، وهو هنا محاصر بين أربعة جدران في قمة برج يناطح السماء . . هذا حبس لم يعرفه ولا يستطيع أن يتقبله .

قال له :

- الأمور صعبة الآن ، لكن أمهلني . . حتى أرى كيف يمكن أن أدبرها لك .

دخلت أمه مذعورة ، وسألت :

- ما الذي يجري؟!

قال لها الأب بنبرة يائسة :

- كما ترين ، يريد أن يسافر الآن ، وفي هذه الظروف .

نظرت إليه هينهةً ، ثم انفجرت ضاحكةً ، وانحنت عليه

وضمته إليها ، لكنّ دموعها سالت ، وحشرج نفَسها . . كان شعوراً مختلطاً من السخرية والألم ذلك الذي أحست به ، فضحكت وبكت في الوقت ذاته ، فمرآه في تلك الحالة من الاستعداد للسفر في هذه الظروف يبعث على الضحك لغرابته ، لكنّه أيضاً يبعث على الشفقة والألم ، لأنها تحس بعمق الجرح الذي أصابه من مقارنة حاله بحال إخوته وأصدقائه هناك ، وكانت تسمع حوارهم .

قالت له :

- بني ، لا تقلق ، ستنجلي هذه الأزمة قريباً ، وسوف نسافر إلى موريتانيا .

- لا أريد البقاء هنا ليوم واحد .

انفجر باكياً ، فضمته إليها من جديد ، وقالت له :

- هذا لأنك سمعت الأولاد التافهين ، إنهم يكذبون عليك . . إنهم مسجونون في البيوت ولا يستطيعون الخروج من الساعة الرابعة مساء . . هذا كلام يقولونه لك أنت ، لكي يغيظوك ، لينتقموا لغيرتهم منك عندما كانوا يشاهدون فيديوهاتك وأنت تلعب في القصباء الجميلة التي لا يجدون مثلها في حيهم .

- ليس كذباً . . موريتانيا ليس فيها كورونا .

- بلى فيها ، والحكومة تطبق الحجر المنزلي بصرامة ، ولا أحد يخرج بعد الساعة الرابعة عصراً ، وأما الأطفال فإنهم لا يخرجون

في أي الأوقات .

قالت له :

- إذا كنت لا تصدقني فتعال واسمع الحقيقة من خالتك .

أخذته إلى الغرفة ، وأمسكت بالهاتف ، وأعادت الاتصال بأختها ، وقالت لها :

- إن خالداً صدّق ما قاله له الأطفال آنفاً من كذب وزور ، وهو الآن يصر على السفر إليكم ، فخذي تكلمي معه لتؤكدي له أنهم محبوسون ولا يستطيعون اللعب .

فهمت أختها ما تريده ، فقالت لها :

- أعطني إياه ، لأكلمه . . آلو حبيبي . .

أجابها بفتور :

- آلو . . خالتي

- آلو حبيبي . . يا روح قلبي . . عهدي بك ولداً عاقلاً ، لا تصدق ترهات وأكاذيب المختار ومحمد وعبد الله . . متى كان أحد يصدقهم؟ وهم كذابون مخادعون! . إنهم هنا مسجونون خائفون ، لا يستطيع أحدهم أن يخرج رأسه من الباب مخافة أن تمسك بهم الشرطة . . لا أحد في هذه الأيام يخرج ، ولا أحد يلعب في الساحات .

- حقّاً؟ . . لكنهم يقولون إنهم يلعبون الكرة ويتسابقون على

الدراجات .

– هذا زور ، قلت لك إن دوريات الشرطة تجوب المكان ، وأمس فقط أمسكت بأحد أطفال الجيران كان خرج إلى الدكان .

– من هو؟

تلعثمت :

– أحد أبناء تلك الأسرة التي تسكن منزل . . آآ . .

رآها تتلفت وتسأل أحداً بجانبها : ما اسمهم تلك الأسرة؟ ثم رجعت إليه :

– نسيت اسمه ، لكن الواقعة صحيحة ، ولم يخلصه إلا سيدينا صاحب الدكان ، الذي تعهد لهم أن الولد لن يخرج من جديد .

– آه . . الشرطة صارت تتجول عندكم في النهار؟ .

– نعم ، وسوف أجلب لك الأولاد حتى تعرف أنهم كانوا يكذبون عليك ، يريدون أن تصاب بالغيرة . . انتظرني .

انقطع عنه الصوت ، وبقيت الكاميرا مثبتة على سقف صالة منزل خالته ، وبعد لحظات ، أطل ابن خالته المختار من شاشة التلفون ، وقال له :

– خالد ، كيف حالك؟ نحن كنا نكذب عليك ، نريدك أن تصاب بالكآبة . . نحن مثلك تعساء ومحبوسون .

أطل أيضاً ابنا عمّتيه ، عبد الله ومحمد ، وقال له محمد :

- خويلد . . جاءك الكمد والحسرة مما قلناه لك؟ ذلك ما كنا نريده ، لكنك أنت أحسنُ حالاً منا ، على الأقل الإنترنت عندك سريع ، ولا يتقطع ، وعندك جهاز لوحي وتدخل كما تشاء ، ونحن الاتصال عندنا رديء ومتقطع ، والتلفونات ضعيفة .

قال له عبد الله :

- خويلد . . متْ بغيظك ، نحن نلعب ، ونمرح .

توقف ، والتفت ، وسمع خالد خالته تقول لعبد الله :

- يا كذاب . . يا مجرم ، قل له الحقيقة .

عاد إليه ، وقال له :

- خويلد ، كم أنت قبيح ، لكنني أحبك . . لقد كنت أمازحك ، أريد أن أغيظك . . يا عزيزي الحال ممل وكئيب ، سأخرج من جلدي .

وصاح عبد الله :

. . أوهْ . . افتحوا لنا الأبواب . . دعونا نلعب ، لعنة الله على كورونا ، أنا لا أخافه .

تضاحكوا وضحك خالد ، وسألهم :

- من الولد الذي أمسكت به الشرطة أمس ، وخلصه سيدينا من قبضتهم؟

رآهم في الشاشة ينظر بعضهم إلى بعض ، وقال له عبد الله :

- لا نعرف ، من أخبرك؟

أطلّت الخالة بوجهها ، واختفت أوجه الأطفال من الشاشة ، وقالت :

- ذلك الولد لا يعرفون عنه شيئاً ، لأنه ابن أسرة جديدة سكنت الحي منذ أشهر .

وأرادت أن تنهي المكالمة ، فقالت له :

- أعطني أمك .

أخذت الأم التلفون ، وتحدثت معها قليلاً ، قبل أن تقطع الاتصال .

كان الأب أثناء اتصال خالد بخالته قد حمل الحقيبة ودخل بها غرفة الأطفال ، وشرع في إعادة الأثواب إلى مكانها في الدولاب ، وخرجت بشرى من الحمام المقابل للغرفة فرأته منهمكاً والحقيبة بين يديه ، فأشار إليها أن لا تتكلم ، فجاءته ورتبت معه الألبسة في مكانها ، وبعد أن فرغا منها ، وضع الحقيبة فارغة فوق الدولاب ، وخرج إلى الصالة ، وخرجت بشرى إلى غرفة أمها ، وكأن شيئاً لم يحدث .

تركت له أمه التلفون يلعب بها ، وكان يحب أن يتناول تلفون أمه ، لأنها تعطيه حرية أن يلعب فيها ما يشاء من الألعاب ، بعكس جهازه الذي وضع عليه أبوه خاصية «قفل الوالدين»

فأصبح لا ينزل اليوتيوبات إلا بإذن منه .

تركته ينهمك في اللعب ساعة ، حتى يتسلى عن أحزانه .

أيام المواجهة

في تلك الليلة بعد أن تعشى ونام ، استيقظ متألماً من بطنه ، فظنت أمه أن ذلك بسبب الأكل ، فقامت بغلي ورق النعناع في الماء وأضافت عليه بعض السكر ، وبعد أن فترت سخونته ، سقته منه قدر كأسين من الشاي ، وانتظرت وقتاً لكي يهدأ الألم وينام ، لكنه لم ينم ، وصار يتلوى من الألم ، فقرر أبوه أن يذهب به إلى المستشفى ، وكانت الساعة قد تعدت منتصف الليل ، فأخذه في السيارة إلى المستشفى ، وفي مركز الطوارئ استقبلهما الأطباء ، وأجروا لهما فحص الحرارة الاحترازي حتى يتأكدوا من عدم إصابتهما بفيروس كورونا ، وعقموا لهما يديهما ، وأعطوا خالداً إبرة مهدئة ، وأجروا له فحص الدم وفحص الموجات الصوتية ، وكانت نتائج الفحصين عادية ، لم تظهر تلبسه بأي مرض ما ، وكان تقدير الطبيب الأوّلي أنها حالة مغص عارضة وستزول ، وكتب له وصفة ، لكنه أيضاً وجه والده بأن يعرضه على طبيب المسالك البولية ، لأنه قدر أن المشكلة قد تكون عائدة إلى وجود حصاة في

الكلية ، وقد كان مفعول الإبرة جيداً حيث توقف الألم ، وهدأ الطفل عن الحركة والشكوى ، وأثناء المقابلة سأل الطبيب الأبَ عن الطريقة التي وصل بها إلى المستشفى؟ فأخبره أنه جاء بسيارته الشخصية ، فتعجب من أن الشرطة لم توقفه ، ونبهه إلى أن ما قام به يمكن أن يغرَّم عليه ، فقد كان برنامج التعقيم لا يزال سارياً من الثامنة مساء حتى السادسة صباحاً ، ومن الإجراءات التنظيمية المتبعة في تلك الفترة أن من كانت لديه حالة تستدعي الطوارئ ، فعليه أن يتصل برقم الطوارئ وينتظر التعليمات ، لكنّ الطبيب طمأنه بأن أوراق المستشفى قد تشفع له إذا ما أوقفته الشرطة في الطريق . . عرف الوالد أنه ارتكب مخالفة بخروجه من غير ترخيص ، وفي طريقهما إلى السيارة أخبر خالداً بذلك ، وقال له :

– ادعُ الله لنا أن لا توقفنا الشرطة .

لما استقر خالد في السيارة ، انخرط في لحظات دعاء خاشعة يتضرع إلى الله أن لا توقفهما الشرطة ، وعندما دخلت السيارة بهما الطريق الرئيسي ، إذا بلوّاحات سيارة الشرطة تأتيهما من قبالتهما . . صمت خالد عن الدعاء وجعل ينظر إليها خائفاً مترقباً . . ولكن السيارة مرت مسرعة على الجانب الآخر من الطريق الذي يفصلهما عنه حاجز يمنع المارة من التجاوز ، فتنفس

خالد الصعداء ، وصاح :

- ها . . الحمد لله ، لقد متُّ من الرعب!

ضحك أبوه وهو ينظر إليه في المرآة ، وسأله خالد :

- ألن نقابل سيارة شرطة بعدها؟

- لا أدري ، ما دمنا في الطريق فاحتمال أن نقابلهم جائز .

- علي إذن أن أواصل الدعاء . . سوف أقرأ المعوذتين ؛ تقول أمي إنهما تحميان الإنسان من الشر .

وأخذ في الدعاء حتى وصلا إلى المنزل .

كان خالد قد لاحظ أن أفراد الطاقم الطبي الذين قابلوهما في الطوارئ ، يرتدون بدلات سابغة لكامل الجسم ، ويغطون كامل أوجههم بواقيات شفافة للوقاية من العدوى ، وقد أعجبته تلك البدلات ، وأنفق كل الوقت في تأملها . وأثناء وجودهما في المستشفى عندما أعطوه حقنة ، ومددوه على السرير لدقائق حتى تأخذ الحقنة مفعولها ، لاحظ أن الممرضة التي تولت إعطاءه الحقنة تنطق بالجيم المصرية ، فسألها :

- هل أنت مصرية؟

- نعم ، كيف عرفت؟

- من طريقة نطقك للجيم . . مدرساتنا المصريات ينطقنها هكذا ، بينما السوريات ينطقن بالجيم قوية .

- أنت ولد ذكي . . واظب على الدراسة وسوف تحصل على شهادة كبيرة .

- أريد أن أكون طبيباً .

- اختيار جيد ، فلا شيء في الدنيا أجمل من مهنة الطبيب . . سوف تعالج الناس وتُذهب عنهم الألم ، فتنشر الفرحة في نفوسهم ، فيحبونك ويدعون لك .

- لماذا ترتدين هذه البدلة؟

- هذه بدلة واقية نرتديها في هذه الفترة ، لكي لا نصاب بالعدوى من المرضى الذين يأتون إلينا .

- إنها جميلة تشبه بدلات رواد الفضاء في الأفلام ، أريد أن أشتري واحدة منها .

- لا توجد للبيع ، هي فقط عند المستشفيات يرتديها الأطباء في هذه الظروف التي يحاربون فيها هذا المرض اللعين .

- ألا يمكن أن تعطوني أنا واحدة؟ سوف أحارب معهم المرض .

- عندما تصير طبيباً كبيراً سوف تحصل على واحدة .

- ومتى سأكون طبيباً؟! . . ما زلت صغيراً وأمامي كثير من السنوات ، وعندها سيكون كورونا قد ذهب من الأرض . . أنا أحتاجها الآن .

- الآن أنت لا تعرف كيف تعالج الناس ، ولا كيف تقي

نفسك ، وهناك أطباء يتولون هذه المهمة . . الآن عليك فقط أن تجتهد في دروسك وتظل تنجح حتى تكون طبيباً كبيراً .

- سأفعل . . شكرا لك ، أنت طيبة .

- وأنت ولد ذكي .

حصلوا على موعد مع طبيب المسالك البولية ظهر الأحد الموالي ، ولما حضر به والده في الموعد ، وجد خالد الطاقم في العيادة يرتدي بدلات طبية عادية ليست كبدلات الطوارئ ، ويكتفون بالكمامات والقفازات ، وأثناء الفحص طلب من الطبيب أن يعطيه قفازات طبية ، فأعطاه إياها ، لكنه أيضاً أخبره برغبته في الحصول على بدلة واقية مثل بدلات طاقم الطوارئ ، فضحك الطبيب ، وسأله :

- لماذا تريدها؟

- أريد أن أساهم في مواجهة هذا الوباء المتوحش .

قال له الطبيب : لا تلزمك بدلة . . أنت مطالب فقط بأن تبقى في المنزل ، ولا تختلط بالناس ، هكذا تحمي نفسك وتحمي الآخرين من العدوى .

- لكنني أريد أن أساهم مثل الأطباء ورجال الإسعاف الذين نشاهدهم في التلفزيون يواجهون الوباء .

- سوف يأتي دورك يوما ما . . لا تستعجل .

- من فضلك يا دكتور . . ألا تستطيع أن تعطيني واحدة

منها . . أنت طبيب كبير ، ولا شك أنك تستطيع أن تحصل لي على واحدة .

كان أبوه واقفاً يستمع ، فتدخل ضاحكاً :

– ألم تسمع ما قاله لك؟ . . أنت صغير على هذا العمل ، ولا تستطيع القيام به ، وحتى أنا أبوك لا أستطيع القيام به ، لأنني لا أعرفه . . هذا عمل الأطباء المتخصصين .

زمّ شفتيه ، وأدار وجهه إلى الجهة الأخرى صامتاً كئيباً ، وتمتم :

– هكذا أنتم دائماً ، تقولون لنا نحن الصغار إننا لا نستطيع أن نفعل شيئاً ، وما ذا فعلتم أنتم في مواجهة هذا المرض اللعين؟! ها نحن مسجونون لا نستطيع أن نخرج لنلعب ، ولا نستطيع أن نسافر إلى بلادنا وأصدقائنا ، والناس يموتون .

قال له الطبيب :

– بُنيّ نحن الكبار ننصحكم ، ونريدكم أن تتجنبوا ما يضركم . . أما المرض ، فنحن نحاول بكل جهد أن نصده ، وهناك كثير من العلماء في العالم يبحثون عن دواء له ، وسوف يشفى المرضى ويهزم المرض قريباً إن شاء الله ، وستستطيعون أنتم الأطفال أن تخرجوا للّعب .

قال أبوه :

– وسوف نذهب بك أنت في الإجازة إلى الوطن ، لتلقى أصدقاء هناك وتلعب معهم .

فقال الطبيب ليشجعه :

– أنت ولد طيب ، تحب الناس وتريد لهم الخير .

أظهرت التحاليل التي أجراها له الطبيب عدم وجود حصاة في كليته ، ورجعا إلى المنزل .

عندما وصل إلى المنزل دخل غرفة أبويه ، ووجد في دولاب أبيه كيسَ «نايلون» كبيراً من الأكياس التي تغلف بها المغسلة الأثواب المغسولة ، فأخذه ودخل المطبخ والتقط مقصّاً كبيراً وعاد إلى غرفته ، وكانت بشرى موجودة ، فأغلق الغرفة ، وقال لها :

– بشرى أختي ، ساعديني .

– ما تريد أن تفعل؟

– أريد أن أصنع بدلة واقية ، سأواجه بها كورونا .

– يا غبي ، كيف ستواجه كورونا؟ وأنت هنا في المنزل لا تلقى أحداً ولست طبيباً!

– أريد أن أجـــرب هل يمكنني أن أنجح في ذلك أم لا ، ساعديني أنت فقط .

– بماذا أساعدك؟

– سأقيس هذا الكيس على طولي ، ثم نقطع الزائد منه ،

وسوف ألبسه بعد أن أنقب فتحة في وسطه لأدخل منها رأسي ، وأخرى في كل طرف لأخرج منهما الذراعين .

- لكن ستبقى ذراعاك عاريتين ورأسك .

- صحيح . . ماذا سنفعل؟

- أنا سأحلها لك .

استخرجت من دولابها كيس «نايلون» آخر وكبّة شريط لاصق ، وقطعت من الكيس غطاء يسع الرأس والرقبة ، وقطعت الكيس شريحتين بطول الذراعين ، ثم أخذت الكيس الأول وقاسته على طول خالد وقطعته من الأسفل ، ووضعت فيه الفتحات الثلاث وألبسته إياه ، ثم ألبسته غطاء الرأس ، فاختنق ، فانتبهت إلى أنها لم تضع فيه فتحة للأنف فنزعته ، وخرقت فيه خرقاً مقابل الأنف ، وألبسته إياه فخرج أنفه كله ، ثم ثبتته من الأسفل حول رقبته بشريط لاصق ، ولفّت الشريحتين الأخريين على الذراعين ، وثبتتهما بالشريط ، واستخرج خالد القفازين الطبيين اللذَين أعطاه إياهما الطبيب ولبسهما ، وأثناء ذلك وجد عسراً في الكلام ، فكلما أراد أن يتكلم ينسحب جانب الكيس إلى داخل فمه فيغلقه ، فأشار إلى بشرى أن تقص له مقابل فمه ، ففعلت . . لاحظ أنه لم يضع واقيات على القدمين كما يفعل الأطباء ، فعمدت بشرى من جديد إلى بقية «النايلون» ، ولفّت

قطعتين منه حول خفيه ، فأصبح منظره يشبه منظر الأطباء ، لكن مع فارق أنه لا يملك سماعة طبيب ، وحلت له بشرى تلك المشكلة بأن أخذت سماعة تلفون عادية وألصقت طرفيها السمّاعين بشريط مقابل الأذنين ، وبحثا عن شيء يجعلانه في رأسها الموصّل ليكون بوقاً لها ، وجرّبا عدة أشياء فلم تفلح .

فجأة فتحت أمهما الباب فوجدتهما على تلك الحال ، فتعجبت من المنظر ، وضحكت ، ثم ساعدتهما في صناعة سماعة بأن أخذت مبراة أقلام ، ووضعت فيها رأس الموصّل ولفّت الشريط اللاصق حولهما ، فأصبحت شبيهة ببوق السماعة الطبية . . فخرج خالد مزهوّاً بشكله ووظيفته الجديدة ، وذهب إلى أبيه في الصالة ، فلما رآه انفجر ضاحكاً وصفق له ، ثم قال لهم خالد :

- سوف أجري لكم جميعا فحص كورونا . . اتبعوني إلى مكتبي .

خرج يتمايل بزهو وخشخشة «النايلون» تحوطه ، فتبعوه جميعاً إلى الغرفة ، فأخذ كرسيّاً ووضعه أمام سريره ، وأمر بشرى أن تتمدد على السرير ، ووضع السماعة على صدرها وأمرها أن تتنفس بعمق ، وأبوه واقف ينظر مبتسماً ، وأمه قد شغلت كاميرا الفيديو في هاتفها وبدأت تسجل الحدث ، وسأل بشرى قائلاً :

- هل لديك حمى أو عطاس مستمر؟ أو هل تحسين بالجوع

في معدتك؟ . .

فأجابته ، بالنفي ، فقال لها : أنت سليمة من كورونا ، عليك أن تضعي الكمامة على فمك بشكل دائم حتى وأنت نائمة ، وأن تأكلي جيداً .

أخذت الأبَ نوبة ضحك حتى كاد يسقط ، وسأله :

- لماذا تسألها عن الجوع الدائم؟ . . هذا ليس عرضاً من أعراض كورونا .

- نعم ، إنه عرض ، لأن الجائع ضعيف ويمكن أن يصيبه كورونا .

ازداد ضحكه ، لكن خالداً حسم الأمر وقال له ، مشيراً إلى السرير :

- تفضل ، أيها الوالد . . لقد حان دورك .

تقدم الأب وتمدد على السرير ومد له يده ، طلب خالد من بشرى أن تأتيه بمصباح يدوي من المطبخ ، فذهبت لتجلبه ، فقال الأب :

- ولماذا المصباح ، نحن لسنا في الظلام؟

- المصباح وسيلة مهمة للفحص ، تتذكر عندما أصابتني كحة ووجع في الحلق ، لقد فتح الطبيب فمي ، وسلط المصباح على حلقي .

- وهل تريدني أن أفتح فمي لتسلط عليه المصباح .

- سوف أسلطه داخل أنفك . . فأنفُك فيه مشكلة كبيرة ، أنت تعطس كثيراً . . وبشكل مزعج ، آسف أن أقول لك إن كل الأعراض التي عندك تشبه أعراض كورونا .

ضحكوا كثيراً ، وجاءت بشرى بالمصباح . . كانت رسائل الأم تسجل على بوستات مباشرة وتبعث بها تباعاً إلى ابنتهم جميلة ، التي أخذت تستقبلها وتضحك من ذلك الطبيب المزعوم الجاد ، الذي لا يؤثر الجو الضاحك في تمثيله للدور .

لما استلم المصباح سلّطه مباشرة على أنف أبيه ، الذي بهر الضوء عينيه فأغمضهما عنوة ، وأمسك خالد بأنفه يتفحصه ، وبعد لحظات فتح الأب عينيه ، وجذب رأسه إلى الخلف وقال له :

- يكفي هذا ، لقد رأيت بما فيه الكفاية .

قال خالد :

- ما زلت لم أفحص صدرك .

ووضع السماعة على صدره وطلب منه أن يتنفس ثم رفعها بسرعة قبل أن يتنفس ، وقال له :

- لست في حاجة إلى أن أفحصك . . أنفك مسدود وسعالك دائم . . أنت مصاب بحالة عدوى مؤكدة ، وسوف نحجزك هنا في هذه الغرفة ، ولن يدخل عليك أحد .

ابتسم الأب ، وقال له :

- أين ستنام أنت وبشرى؟

- سوف ننام مع أمنا .

- أمكم قد تكون مصابة بالعدوى .

- لا . . لا ، أمنا ليست مصابة ، أنا طبيب مجرب وأستطيع أن أفرق بين الشخص المصاب وغيره ، هي سليمة والحمد لله ، سوف تظل تعد لنا الأكل وتنظف لنا أثوابنا ، وترعانا .

- وأنا؟

- أنت لا تخش شيئاً ، سوف نغلق عليك الباب ، وكلما احتجت إلى شيء سوف نضعه لك عند الباب ، وتمد يدك فتأخذه . . كذلك سوف أعطيك الأدوية اللازمة ، وستشفى بإذن الله قريباً . . لكن عليك أن تلتزم بالتعليمات ، لا خروج . . لا تتعدَّ عتبة الباب .

كانت مسرحية جميلة ، وقد جاءتهم ردود الفعل عليها من أفراد الأسرة في نواكشوط ، وبعض الأصدقاء ، وطلب الكثيرون منهم صوراً خاصة لخالد وهو في هيئته تلك ، واستمتعوا بقية تلك الليلة بذلك الحدث .

من شدة تشبث خالد بالدور ، فقد أراد أن ينام وهو في بدلته تلك ، لكن أمه نزعتها عنه على وعد أنها سوف تلبسها له في الصباح ، وفي تلك الليلة رأى خالد في نومه أنه يقود مجموعة من

الأطفال يلبسون بدلات طبية واقية حقيقية ، وأنهم يحملون في أيديهم أجهزة رشاشة مثل تلك التي يحملها رجال الإطفاء ، وهم في مواجهة وحش هائل ضخم على شكل فيروس كورونا ، يهاجمهم ويطلق عليهم من فمه زخات بخار سامة ، وكلما اقترب منهم أطلقوا عليه خراطيم رشاشاتهم التي تطلق غازاً قاتلاً ، فيتراجع مترنحاً ، ثم يهجم من جديد ، وفي مرات عديدة كان يمسك بواحد منهم ، فيهاجمونه بالغازات بشدة ، حتى يتراجع ويسقط زميلهم فيحملونه وينعشونه ، وفي إحدى المرات نشبت مخالبه في بدلة خالد فتمزقت ، لكنه نجا منه ، وأصبح عارياً في مواجهة ذلك الوحش المرعب ، لكنه لم يتراجع ، وبدأ يحرض أصحابه على التقدم ، وأن يهجموا في لحظة واحدة ، ففعلوا وأطلقوا خراطيمهم في لحظة واحدة ، فترنح الوحش وتراجع ، فواصلوا هجومهم ، حتى أسقطوه . . وأقاموا حوله دائرة ، يرشونه من كل الاتجاهات ، حتى أصبح جثة هامدة ، ولم يكتفوا بذلك بل أوقدوا عليه ناراً كبيرة أحرقته حتى تركته رماداً ، فذهبت سمومه ، واستراح منه الناس .

أصبح خالد مبتهجاً بتلك الرؤيا ، وقد صدق أنه تغلب فعلاً على كورونا . . وأن تلك الجائحة سوف تختفي من الأرض ، وتحدث بها إلى أبيه الذي تفاءل بها ، وعزز ثقته بذهاب ذلك

البلاء ، عندما استيقظت أمه حدثها بذلك فتفاءلت به بدورها ، وكان رمضان على الأبواب ، لا يفصلهم عنه سوى يومين :

– هذا فأل خير ، نحن على أبواب رمضان ، وهو شهر مبارك نرجو من الله أن يزيل فيه الغمة .

دخلت الأسرة في أجواء رمضان ، وأصبح وقت خالد مشحوناً بأنشطة كثيرة متنوعة ، فكان يومه يبدأ من الواحدة ، ولم يكن يصوم كما يصوم بقية أفراد الأسرة ، فهو يفطر عند الواحدة ظهرا ، ويصوم بقية يومه عن الأكل وحده ، لكنه يشرب الماء إذا عطش ، وعند الثانية يدخل في الحصص الدراسية إلى الرابعة ، وبعد العصر ينخرط مع أمه وأخته في إعداد وجبات الإفطار . وقد حمل له رمضان فرجة جديدة للّعب ، فكان بعد الإفطار يخرج مع الأسرة إلى كورنيش المجاز ، يقوم بأشواط على دراجته ، بينما يمارسون هم رياضة المشي على طول الكورنيش ، وعندما يقترب موعد الحظر الذي يبدأ في الساعة العاشرة ، يعودون إلى المنزل ، وتتواصل سهرة خالد بعدة أنشطة ؛ منها صلاة التراويح مع الأسرة ، والألعاب الإلكترونية ، ومراجعة الواجبات ، ودرس الإنجليزية الخاص ، والمسلسلات التلفزيونية ، والتواصل مع الأهل في موريتانيا ، وتمتد السهرة إلى وقت متأخر ، قد يصل إلى الفجر ، ثم ينام ولا يستيقظ إلا في حدود الواحدة ظهراً .

هكذا مر رمضان سريعاً مبهجاً وجاء العيد ، ورغم كآبة العيد ، فإن خالداً كان متحفّزاً لما بعد العيد ، فقد كانت الأسرة تتابع أخبار الجائحة باهتمام ، وتوالت الأنباء في الأيام الأخيرة من رمضان ، عن أن الإمارات قد سيطرت سيطرة تامة على المرض ، وأصبحت أعداد المصابين تتراجع يوميّاً ، وسمعوا أن الحكومة تحضر للعودة للحياة الطبيعية بعد العيد ، وكان خالد مهتما بتلك الأنباء متابعاً لها ، وفرحاً بها . . لم يخب التوقع ، فلم تكد أيام العيد تنتهي حتى أعلنت حكومة الشارقة عن فتح المتنزّهات والشواطئ أمام الجمهور ، وكانت القصباء على رأس تلك المناطق التي افتتحت .

عند الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم ، أضاءت منطقة الألعاب في القصباء أنوارها البيضاء والملونة الراقصة ، ودبت فيها الحياة ، ولاحظ ذلك خالد الذي علم بالخبر من أبيه ، وظل يراقب موقع الألعاب من نافذتة ، وحين أضاءت رقص فوق سريره ، وخرج مسرعاً إلى الصالة ليزف الخبر إلى أبيه وأمه ، اللذين وقفا في النافذة ينظران فرحين ، وهنآ خالداً بهذه المناسبة . . كان متحمسا ويريد أن يخرج من فوره ، لكن أمه استمهلته حتى تنتهي من إعداد الشاي لترافقه إلى منطقة الألعاب ، وتشتري له تذكرة . . كان عجلاً متلهفا للّعب هناك - والشاي الموريتاني يأخذ

وقتاً طويلاً - فطلب منها أن تتركه ينزل ، ووعدها بأنه لن يحتك بأحد ، وسيقف بعيداً يتفرج حتى تلتحق به ، فأذنت له . . اندفع خارجاً تسبقه لهفته ، وحين اقترب كان هناك ثلة من الأطفال يلعبون والأضواء تلمع . . لم يقاوم رغبة الدخول إلى القصباء ، ولم يستطع أن يلتزم بوعده لأمه ، فدخل إلى المنطقة ، ولاحظ أن الأطفال يدخلون من غير تذاكر وأن العمال يراقبون فقط ، ولا يمنعونهم ، فاندفع داخلاً إلى جناح القفز والمراجيح ، وهو أحب الأجنحة إليه .

تذكر آخر مرة يدخل فيها ذلك المكان ، عندما باغته الحارس وهو يخترق الحظر ، فحاصره ، وكاد قلبه يخرج من فمه .

ابتسم ، وكان يصعد مع سلم خشبي لأحد الألعاب ، وفوقه مباشرة ولد واقف ينظر إليه ، فلما تلاقى نظراهما ظن الولد أن خالداً يبتسم له ، فبادله الابتسام ، وسرعان ما اندمجا في لعبة مشتركة ثم التحق بهما آخرون ، وسرعان ما تحولت الابتسامات إلى قفز وسقوط وصعود وضحك عالٍ لا ينتهي .

النهـــــــاية